النموذج[1] المختار من كتاب الإخبار بفوائد الأخبار[2]

(بحر الفوائد) للكلاباذي[3]

(توفي بين ٣٨٠هـ و٣٨٥هـ)

والمقصود من هذا النموذج : التعريف بمنهج الكلاباذي في الشرح ، وأنه ربما انفرد بفوائد لا توجد عند غيره . كما يتبيّن من خلال شرحه منهج الرد على الطعون على الأحاديث النبوية ، وكيفية تناول العلماء لها ، وعرض أقوالهم في ذلك من متقدِّمهم إلى المتأخِّر منهم .

كما نوازن بين طعن المعاصرين على الحديث والطعون القديمة ، والتي رد عليها أئمةُ الفقه وأئمةُ العلوم العقلية وأئمةُ اللغة والحديث: هل جاء الطعن المعاصر بجديد ؟ هل اكتشف مغمزًا جديدا غفل عنه السابقون فكانت غفلتهم عنه هي سبب تصحيحهم الحديث ؟ هل ردّوا على تلك المطاعن قبل أن يُوجد هؤلاء المعاصرون بألف سنة وأقل وأكثر ؟

إنه نموذج ثريٌّ بالفوائد فيما سبق وغيره :

***

---

(١) نموذج من مقرر شرح الحديث .

(٢) هذا هو الاسم الذي سماه به ابن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) في فهرسته، وذكر إسناده إليه بروايته (٢٥٤رقم٣٣٢).

(٣) بحر الفوائد للكلاباذي – تحقيق : وجيه كمال الدين زكي . الطبعة الأولى : ١٤٢٩هـ . دار السلام : القاهرة – (١/ ٥٣٧– ٥٤٨). وقابلتها على نسختين خطيتين : إحداهما في مكتبة بايزيد بتركيا (رقم ٤٦٩) : (٩٨/أ – ١٠١/أ) ، والأخرى بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٥٨٥٥) : (١٨٧/ب – ١٩٤/ب).

والمؤلف هو : أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكَلاباذي الحنفي (توفي بين ٣٨٠هـ و٣٨٥هـ) .

وترجمته شحيحة في المصادر[١]، وهو أحد من عَرَّفَتْنا به مؤلفاتُه أكثر من تعريف ترجماته به، ونَقْلُ العلماء منها واعتمادهم عليها[٢].

قال عنه عبد القادر القرشي (ت٧٧٥هـ) : «الإمام الأُصولي»[٣].

وقد عُرِف المؤلف بكتابين اثنين ، وإن كان له غيرهما :

الأول : التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف : وهو في التعريف بالتصوف وبمصطلحات أهله.

والثاني : الإخبار بفوائد الأخبار[٤]، وهو المسمى أيضًا بـ(بحر الفوائد) : وهو الكتاب المقصود في تعليقنا هذا .

---

(١) انظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي (٤/ ١٠٥- ١٠٦)، وتاج التراجم لابن قطلوبغا (٣٣٣رقم ٣٣٥)، وأعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار لمحمود بن سليمان الكَفَوي (٢/ ١٢٤- ١٢٧رقم ٢٤١)، وطبقات المفسرين للأَدَنَهْ وِي (٨٥- ٨٦رقم ١١٥)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي (١٦١)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٩٥)، وهدية العارفين للباباني البغدادي (٢/ ٥٤)، ومعجم المؤلفين الصوفية للدكتور محمد أحمد درنيقة (٣٠٧)، وغيرها من الناقلة عن بعضها بلا زيادة .

(٢) نقل عنه ابن تيمية في مواطن من كتبه في مواطن الإقرار والرضا عما ينقله في مسائل عدة من مسائل الاعتقاد ، ونقل عنه ابن حجر في (الفتح) ، غيرهم . وانظر مقدمة تحقيق كتابه (١/ ٢٦- ٤٢).

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي (٤/ ١٠٥).

(٤) هذا هو الاسم الذي سماه به ابن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) في فهرسته، وذكر إسناده إليه بروايته (٢٥٤رقم٣٣٢).

وكتاب (الإخبار بفوائد الأخبار = بحر الفوائد) هو كتاب تضمن (٢٢٢) موضوعًا، فيبدأ كل موضوع بحديث يرويه بإسناده، ثم يتحدث عنه شارحا ومعلقا.

ويتميز كتابه باستقلاله في الشرح، وعنايته بالجوانب الإيمانية والأخلاقية.

وسيأتي نموذج منه يبين جانبا من منهجه في شرحه.

***

بداية العرض

فقد أسند الكلاباذي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أُرسل ملكُ الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صَكَّه، ففقأ عينه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال فرَدَّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي ربِّ، ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رميةً بحجر. فلو كنتُ ثَمَّ، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر»[1].

وذكر عددًا من أسانيده بألفاظها.

ثم قال: «روت الأئمة هذا الحديث من وجوه كثيرة، ووضعوه في كتبهم، وصَحّحوه، وعدّلوا رواته. و[استفظعه] قومٌ فجحدوه، وأنكروه، فردوه؛ لضيق صدورهم، وقصور علمهم، وقلة معرفتهم بالحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٣٣٩، ٣٤٠٧)، ومسلم (رقم ٢٣٧٢).

وهذا الحديث أدخلوه في الصحاح ، ورضي إسنادَه أهلُ العلم بالحديث وأهلُ المعرفة بالرجال . والحديث إذا صح من جهة النقل : فإنه يجب قبوله ، فإن كان من باب المتواتر : فإنه يوجب العلم والعمل، [وإن كان من باب الآحاد : فإنه يوجب العمل، ولا يوجب العلم].

وهذا الحديث وإن كان مما لا يوجب العلم عند بعض الناس : فإنه مما يوجب العمل (لو كان من باب العمل)؛ لشهرته في نفسه، وعدالة رواته ، وصحة إسناده . وما كان هذا سبيله (وإن كان لا يوجب العلم) : فإنه لا يجب رَدُّهُ وإنكارُه ودفعه، [فإن] في رَدِّهِ تكذيبَ الأئمة وجَرْحَ عدول الأمة.

وسمعت أبا محمد بن أحمد بن عبد الله المزني[1] يقول: لعلماء الأثر في تلقي الأخبار المتشابهة مذهبان :

أحدهما: أن الإيمان بها فرض كالإيمان بمتشابه القرآن حين يقول ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، أي : كلٌّ من المحكم والمتشابه من عند ربنا ، وقد استأثر الله تعالى بعلم المتشابهة (في هذا القول)، فلا يعلمه إلا الله عز وجل، قالوا: فمَثَلُه المتشابهُ من أخبار الرسول ﷺ إذا حُجب عنا عِلْمُ تأويلِه : آمنا وصدقنا بما قال، ووكلنا علم تأويله إلى الله عز وجل .

---

(١) هو : الحافظ الفقيه أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبدالله المزني المغفَّلي الهروي الشافعي (ت٣٥٦هـ) : كان إمامَ أهل خراسان بلا مدافعة (كما قال الحاكم وغيره)، قال عنه الذهبي : «الإمام، العالم، القدوة، الحافظ، ذو الفنون». سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨١- ١٨٣) ، والروض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم للمنصوري (رقم ٩٨).

ثم حدثنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا القاسم بن زكريا المقرئ قال: حدثنا محمد بن الصباح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي : أنه سأل الزهري عن بعض الأخبار المتشابهة؟ فقال: من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم، أَمِرُّوا أحاديثَ رسول الله ﷺ كما جاءت .

وقال عبد الله بن نافع: سئل مالك بن أنس عن قوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فقال : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالًّا.

هذا مذهب كثير من العلماء.

قال: والمذهب الثاني: أن الإيمان بما قاله الرسول ﷺ فرض، والبحث عن متشابه التنزيل وأخبار الرسول واجب في الأصول والعقول ، فِرارًا من تعطيل الصفات وآفة التشبيهات.

قال: والقدوة في هذا المذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما ومن تابعهما من فقهاء أهل الأثر.

قال: وبمعرفة المحكم والمتشابه تميز الفاضل من المفضول، والعالم من المتعلم، والحكيم من المتعجرف، ومن أَمرَّ الأحاديث على ما جاءت حين التبس عليه كُنْهُ معرفتها لم يردها ردَّ منكرٍ جاحد ، بل آمن واستسلم وانقاد ، ووَكَلَ علمه إلى الله تعالى ، وإلى من علمه الله ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

ورَدُّ الأخبار والمتشابه من القرآن : طريقٌ سهلٌ ، يستوي فيه العالم والجاهل ، والسفيه والعاقل . وإنما يتبين فضل علم العلماء ، وعقولُ العقلاء : بالبحث والتفتيش ، واستخراجِ الحكمة من الآية والسنة ، وحَمْلِ الأخبار على ما يوافق الأصول ، وتُصَحِّحُه العقولُ .

وهذا الحديث له في كتاب الله نَصًّا نظيرٌ : قال تعالى في خبر موسى وهارون عليهما السلام ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾، وقال ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾. وليس الجرُّ إليك بالخشونة والغلظة بأقل من الدفع عنك بالخشونة والغلظة، وهو الصك واللطم، فإن اللطم دفعٌ عنك بغلظة وخشونة ، فهما سواه . وليس هارون بأدون منزلةً من ملك الموت صلوات الله عليهما ، بل هو أجلُّ قدرًا منه، وأعلى مرتبةً ، وأَبينُ فضلًا ، عند أكثر علماء الأمة من أهل النظر والأثر؛ لأنه عليه السلام نبيٌّ مرسل قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾. وهو مع جليل قدره في نبوته، وعلو درجته في رسالته : أخو موسى لأبيه وأمه، وأكبر سنا منه ، وقال رسول الله ﷺ : "حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده" . فإذا أخبر الله تعالى عن موسى (عليه السلام) أنه أخذ برأسه ولحيته وجره إليه بعنف وغلظة ، حتى استعطفه عليه، واعتذر إليه، فقال ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، وقوله ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾، ولولا ذلك عسى كان يكون منه إليه ما هو أعظم مما صنع به . ثم لم نجد في الكتاب ما يدل على عتاب الله إياه، ولا على توبته منه . ولو كان ذلك منه صغيرة أو زلة : لظهر ذلك نصا في الكتاب أو دلالة، كما ذكر الله تعالى زلات الأنبياء (صلوات الله عليهم)، ومعاتبتَه إياهم عليها ، وتوبتهم منها إلى الله، ورجوعَهم إليه، واستغفارهم إياه ، واعترافهم على أنفسهم بالظلم لها . كما قال جل جلاله في قصة آدم صلوات الله عليه ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾، هذا عتابه لهما في إمثالها من الآيات. وقال تعالى في اعترافهما وتوبتهما ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾. وقال تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وقال عز وجل في اعترافه وتوبته ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ

أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. وفي قصة داود صلوات الله عليه ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾، وقال عز وجل في موسى (عليه السلام) وقتله القبطي ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، وقال ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾.

فلو كان جره أخاه إليه وأخذه برأسه ولحيته زلةً منه : لظهر اعترافه على نفسه وتوبته إلى ربه، أو معاتبة الله إياه . فلما لم يكن : دلَّ أنه لم يكن منه معصية ولا زلة.

كذلك صَكُّه ملك الموت ولَطْمُه إياه ؛ لأنهما عُنفان:

- أحدهما : بالدفع عنك .
- والآخر : بالجر إليك .

إلى كريمين على الله تعالى :

- أحدهما : رسول نبيٌّ .
- والآخر : مَلَكٌ زكي .

وكما لم يَرِدْ في الكتاب عتابٌ ولا توبة واعترافٌ في قصة الملك ، فما جاز في الكتاب من التأويل : [ساغ] ذلك في الخبر (إن شاء الله) .

وإنما لم يكن فعله (عليه السلام) بهارون – مع عِظَمِ حُرمته لنبوته ورسالته وأخوته وقرابته وحق سنه – زلّةً منه ؛ لأنه (عليه السلام) غضب لله .. لا لنفسه . وكانت فيه حميةٌ وغضبٌ وعجلةٌ وحِدّةٌ .. كلها في الله .. ولله . ألا يرى إلى قوله تعالى ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، أخبر أن عجلته كان طلبا لرضاه .

كذلك حدته وغضبه على أخيه وصنيعه به، ألا تراه يقول ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾، وكانت تلك الحدة منه والغضب فيه : صفةَ مدح ؛ لأنها كانت لله .. وفي الله . كما كانت رأفة النبي ﷺ ورحمته صفةَ مدح إذْ كانت في الله .. ولله ، ثم كان يغضب حتى يحمر وجهه ، وتَدِرَّ عروقه .. لله .. وفي الله . وبذلك وصف الله تعالى المؤمنين بقوله ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وقال تعالى {﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وقال جل جلاله ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾. فلما كانت الغلظة والشدة: في الله .. ولله ، كذلك الغضب والحدة من موسى : لله .. وفي الله . والجميع صفة مدحٍ، ونعتُ ثناءٍ . ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام في مدحه أبا بكر رضي الله عنه في رقته ورحمته وتشبيهه إياه بإبراهيم إذ يقول ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، وقوله ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وعيسى عليه السلام حين قال ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقوله ﷺ في عمر رضي الله عنه ومدحه له في غلظته وشدته في الله ولله، وتشبيهه إياه بنوح (عليه السلام) حين قال ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، فأوصاف الأنبياء (صلوات الله عليهم) والرسل (عليهم الصلاة والسلام) أوصاف مدح، ونعوتهم نعوتُ ثناء (صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين).

فيجوز أن يكون صَكُّهُ لملك الموت ولَطْمُه إياه لم يكن زلة؛ لأنها لم تكن لنصيب نفسه، وإنما كان غضبًا لله، وشدةً في أمر الله، وحميةً لدين الله ، وذلك أن الملك أتاه في صورة إنسان. فيجوز أن يكون موسى (عليه السلام) لم يعرف أنه مَلَكٌ رسولُ الله، كما لم يعرف النبي ﷺ جبريل (صلوات الله عليه) حين جاءه يسأله عن الإيمان والإسلام ، حتى قال ﷺ : «هذا جبريل أتاكم ليعلمكم معالم دينكم، والله ما أتاني في صورة قط ؛ إلا وقد عرفته فيها ؛ إلا في هذه الصورة» ، فكذلك موسى يجوز أن يكون أتاه في صورة لم يأته فيها قبلها، فلم يعرفه ، ثم أراد قبض روحه

، أنكر أن يكون إنسانٌ يريد قبض روح كليم الله ورسوله، فصَكَّهُ ولطمه إنكارًا له ، ورَدًّا عليه أنه مَلَكٌ ، وأنه لله رسول ، [و] أنكر عليه ادّعاءه ما ليس للبشر من قبض أرواح الأنبياء ، ومن ادعى ذلك من البشر فهو كاذب على الله ، فغضب لله فصكه ولطمه . ألا ترى أنه لما عاد إليه ، فخيره بين أن يضرب يده على جنب ثور وأن يموت، اختار الموت، استسلامًا لله ، ورضاءً لحكمه، وتصديقًا لرسوله.

وأما فَقْءُ عينه : فإنه لم يكن فِعلًا لموسى (صلوات الله عليه)، وإن كان على إِثْرِ لَطْمِه إياه وصَكِّهِ له، وإنما كان ذلك فِعْلَ الله تعالى ، أحدثه في الصورة التي أتاه الملك فيها . وذلك أن الإنسان عندنا لا يفعل في غيره، وإنما يفعل في [نفسه] ومحلِّ قدرته، وما يحدث بعد ذلك من ألمٍ عند الضرب ، وموت عند قطع الأوداج ، وذهاب السهم بعد الرمي ، وغير ذلك مما يظهر بعد حركات الـمُحْدِث في نفسه: فإنها كلها أفعال الله تعالى : أحدثها واخترعها، وكذلك الإحراق عند اشتعال النار في الحطب والجمع بينهما، والبرد في الثلج ، وغير ذلك : كلها أفعال الله تعالى، يُحدثها ويخترعها الله إذا شاء وحين يريد ، وإن كان ذلك إِثْر حركات المحدث في نفسه. والفقءُ إنما حل في الصورة ، لا في الملك ؛ لأن بِنْيَةَ الملائكة وخِلقتهم ليست من [الأمشاج] والطبائع المختلفة التي تقبل [الكون] والفساد ، وتحلها الآفات ، ويؤثر فيها أفعال الـمُحدِث؛ لأنهم لا ينمون، ولا يتوالدون، ولا ينامون، ولا يأكلون، ولا يسأمون، ولا يَسْتَحْسِرون، ولا يَفْتُرون، وكل هذه آفات، والفقءُ آفة، وهم لا تحلهم الآفات. فالآفة - التي هي الفقءُ - إنما حل في الصورة التي جاء الملك فيها ، لا في عين الملك . وليس الملائكة كالناس ؛ فإن الإنسانَ إنسانٌ بصورته وخواصه، ولا يكون الإنسان إنسانًا بخواصه دون صورته التي هي صورة الناس؛ فإنه إن وجدت خواصه في نوع من أنواع الحيوان، ولم توجد صورة الإنسان ، فليس ذلك النوع إنسانا ، حتى يوجد بِنيةُ الإنسان وصورته وخواصه . والملك ملكٌ بخواصه ، دون صورته ؛

لأن صُورَهم مختلفةٌ ، وخواصهم واحدة، فمنهم من هو فيهم على صورة الإنسان، ومنهم على صورة الطير، ومنهم على صورة السباع، ومنهم على صورة الأنعام، وكلهم ملائكة، ولهم أجنحة على أعداد متفاوتة قال الله تعالى ﴿ الْحَمْدُ للهِّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾، ثم قال ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، وقيل في حملة العرش : إنهم أربعة أملاك :

- أحدهم : على صورة الإنسان، يشفع إلى الله في أرزاقهم .
- والثاني : على صورة النسر ، يشفع إلى الله في أرزاق الطير ، ودفع الأذى عنهم .
- والثالث : على صورة الأسد ، يشفع إلى الله تعالى في أرزاق السباع ، ودفع الأذى عنهم.
- والرابع : على صورة الثور ، يشفع إلى الله تعالى في أرزاق البهائم، ودفع الأذى عنهم

يصدق ذلك : ما حدثنا محمد بن حامد القواريري ، قال: حدثنا حامد بن سهل ، قال: حدثنا هناد بن السري ، قال: حدثنا عبدة، عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: صَدَّقَ رسولُ الله ﷺ أميةَ بن أبي الصلت في بيتين من شعره، قال:

رَجُـلٌ وثـورٌ تحـت رِجْـلِ يمينـه   والنَّسر للأخرى ، وليثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله ﷺ: "صدق" .

قال، وقال:

والشـمسُ تَطْلُـعُ كـلَّ آخـرِ ليلـةٍ   حمـــراءَ، يُصـــبح لونُهـــا يَتَـــوَرَّدُ

تَـأْبى فـما تَطْلُـعْ[1] لنـا في رِسْـلِها   إلا معذَّبـــــةً ، وإلا تُجلَـــــدُ

فقال رسول الله ﷺ: "صدق" .

فلما كانت الصورةُ صورةَ أسدٍ وثورٍ ونسرٍ وإنسانٍ، وهو مَلَكٌ : بان أن الملك لم يكن مَلَكًا للصورة، وإنما هو ملك بخاصيتة الذي هو خاصيتة، والإنسان إنسانٌ بخاصيته وصورته . ألا ترى أن جبريل (عليه السلام) كان يأتي رسول الله ﷺ على صورة دِحْية الكلبي، وهو (عليه السلام) بصورته التي هي صورته : كما شاء من عِظَمِ خَلْقِه، وعجيب صورته .

حدثنا خلف بن محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن معقل ، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال: حدثنا أبو النعمان قال: حدثنا عبد الواحد ، قال: حدثنا الشيباني ، قال: سمعت زِرًّا عن عبد الله ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، قال ابن مسعود ﷺ : أنه رأى جبريل وله ستمائة جناح[2].

وحدثنا محمد بن محمد قال: حدثنا نصر بن زكريا قال: حدثنا عمار بن الحسن قال: حدثنا سلمة بن الفضل قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن الفضل بن عيسى، عن عمه يزيد بن أبان الرقاشي، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ : يا نبي الله ، من هؤلاء الذين استثنى الله عز وجل؟ قال: "جبريل وميكائيل وملك الموت (عليهم السلام)، فيقول الله تعالى لملك الموت: من بقي (وهو أعلم)؟ فيقول : سبحانك ذا الجلال والإكرام ، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت . فيقول الله تعالى لملك الموت : يا ملك الموت ، خُذْ نَفْسَ ميكائيل ، فيأخذ ، فيقع في صورته التي خلقه الله فيها مثل الطود العظيم. ثم يقول (وهو أعلم) : يا ملك الموت ، من

---

(١) هكذا في المخطوط : بجزم الفعل المضارع ، بغير جازم ، لكي يستقيم الوزن . وفي بعض المصادر : «ليست بطالعةٍ لنا في رِسلها»، وفي بعضها : «تأبى فما تبدو لنا في رسلها».

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

بقي ؟ قال: فيقول: سبحانك ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل، وملك الموت ، قال: يقول: يا ملك الموت ، مُت قال: فيموت . فيبقى جبريل ، وهو من الله بالمكان الذي ذكر لكم ، فيقول الله تعالى: يا جبريل ، إنه لا بد من أن تموت ، فيقع ساجدا يخفق بجناحيه، سبحانك ربي وبحمدك ، أنت الباقي الدائم، وجبريل الفاني الهالك الميت . قال: فيأخذ الله تعالى روحه ، فيقع على ميكائيل ، وإن فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الظَّرِب من الظِرب . ثم يمكث الله كما كان ، ليس معه شيء من الخلق ، ما شاء ، وليس لأحد من العباد علم بما هو ماكث".

وفي حديث آخر : أن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته قد سَدَّ الأُفُقَ .

حدثنا المحمودي، قال: حدثنا محمد بن يحيى بن سليمان قال: حدثنا سعيد بن سليمان قال: حدثنا سعيد ، عن قتادة، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ : "رأيت جبريل منهبطا من السماء ، سادًّا عِظَمُ خَلْقِه ما بين السماء والأرض".

فهذه صورته التي هو عليها ، ثم يأتي النبي ﷺ على صورة دحية ، وهو إذ ذاك جبريل على الحقيقة . يقول الله عز وجل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وقال عز وجل ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، فالنازل بالقرآن والوحي هو جبريل على الحقيقة، والصورة صورة دحية.

قال: وسمعت بعض شيوخ المتكلمين يقول: "إنه كان يخلقه الله في ذلك الوقت إنسانا وبشرا"، وهذا لا يستقيم ، وهو وهم منه ؛ وذلك أنه لو كان كما قاله ، لكان قول المشركين صدقا حيث قالوا ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، والله عز وجل يقول ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾، وقال ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

فجبريل (عليه السلام) جبريل ، وإن كانت الصورة صورة إنسان . إذن فالصورة ليست الملك، وإن كان الملك في تلك الصورة.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ فيما حدثنا حاتم ، قال: حدثنا يحيى ، قال: حدثنا الـحِمّاني، قال: حدثنا أبو معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ، قال: "إن في الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع ؛ إلا صور الرجال والنساء، من اشتهى صورة دخل فيها". فأخبر أن الصورة غير الذي يدخل فيها ، فكذلك الصورة التي أتى ملك الموت فيها موسى (عليه السلام) ، هي صورة أدخل الله الملكَ فيها . والفقءُ إنما حلَّ في الصورة ، دون الملك . وهو أن يكون الله تعالى أذهب عين الصورة عند لطم موسى (عليه السلام)، فكأنه في ذلك الوقت في صورة رجل أعور، كما كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة رجل ليست له أجنحة، ولا على ذلك العظم الذي أتى له : مرة على صورة دحية ، فهو يعرفه فيها ، ومرة على صورة غيره ، فلم يعرفه فيها . كذلك ملك الموت ، أتى موسى (صلوات الله عليهما) حين أتاه على صورة إنسان صحيح العينين، ثم نقله الله عند لطم موسى على صورة إنسان فُقِئت عينه، وهو ملك كما هو قبل انتقاله إلى إحدى الصورتين ، لم ينتقل من الملَكية إلى الإنسانية والبشرية ، والله تعالى فعل ذلك بها ، أعني الصورة ، دون موسى . والله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ، وهو مصيب في أفعاله ، وأفعاله كلها حكمة ؛ لأنه تعالى لا يفعل عبثا ولا سفها : تعالى الله عن السفة والعبث علوا كبيرا ، فأفعاله كلها حكمة وصواب، جُهِلَ وجهُ الحكمة فيها أو عُلم».

***

صورة مخطوطة بايزيد (رقم ٤٦٩) بشرح هذا الحديث

محمد بن حامد القواريري نا حامد بن سهل نا هناد بن السري نا عبده عن محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة
عن عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امية بن ابي الصلت في بيتين من
شعره — رجل وثور تحت رجل يمينه — والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق قال وقال

والشمس تطلع كل اخر ليلة — حمرا يصبح لونها يتورد
تابى فما تطلع لنا في رسلها — الا معذبة والا تجلد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وقد كان جبريل ياتي رسول الله عليهما السلم على صورة دحية
الكلبي وهو عليه السلم بصورته التي هي صورته كما شا الله من عظم خلقه وعجيب صورته حدثنا خلف بن
محمد نا ابرهيم بن معقل نا محمد بن اسمعيل نا ابو النعمان نا عبد الواحد نا الشيباني قال سمعت الذر عن عبد الله
فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى قال حدثني ابن مسعود انه راى جبريل وله
ستماية جناح وحدثنا محمد بن محمد نا نصر بن زكريا نا عمار بن الحسن نا سلمة بن الفضل قال حدثني محمد
بن اسحق عن الفضل بن عيسى عن عمه يزيد بن ابان الرقاشي عن انس بن مالك قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من الذي الله من هاولا الذين استثنى الله تعالى قال جبريل وميكائيل وملك الموت عليهم السلم فيقول الله
تعالى لملك الموت يا ملك الموت من بقي وهو اعلم فيقول سبحانك يا ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكائيل
وملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس ميكائيل فياخذ فيقع في صورته التي
خلقه الله تعالى فيها مثل الطود العظيم ثم يقول وهو اعلم يا ملك الموت من بقي فيقول سبحانك ذا الجلال
والاكرام بقي جبريل وملك الموت قال يقول يا ملك الموت مت فيموت فيبقى جبريل وهو من الله
تعالى بالمكان الذي ذكر لكم فيقول الله تعالى يا جبريل انه لا بد من ان تموت فيقع ساجدا يخفق بجناحيه
يقول سبحانك ربي وبحمدك انت الباقي الدايم وجبريل الفاني الهالك الميت قال فياخذ الله روحه فيقع
على ميكائيل ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب ثم يمكث الله
تعالى كما كان ليس معه شي من الخلق ما شا ليس لاحد من العباد علم بما هو ماكث وحدثنا
المحمودي نا محمد بن يحيى بن سليمن نا سعيد بن سليمان نا سعيد عن قتادة عن داود عن الشعبي عن مسروق
عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جبريل منهبطا من السما سادا عظم خلقه

ما بين السما والارض فهذه صورة جبريل التي هو عليها ثم ياتي النبي صلى الله عليه وسلم على صورة دحية
الكلبي وهو اذ ذاك جبريل على الحقيقة يقول الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال
جل وعز انه لقول رسول كريم فالنازل بالوحي والقران هو جبريل على الحقيقة والصورة صورة
دحية وسمعت بعض شيوخ المتكلمين يقول انه كان يخلقه الله في ذلك الوقت انسانا وبشرا
وهذا لا يستقيم وذلك انه لو كان كما قاله لكان قول المشركين صدقا حيث قالوا انما يعلمه بشر والله جل وعز
يقول علمه شديد القوى وقال نزل به الروح الامين على انه اذ ... جبريل وان كانت الصورة صورة
انسان اذ الصورة ليس الملك وان كان الملك في تلك الصورة وقد حدثنا حاتم بن عقيل نا يحيى
نا يحيى نا ابو معوية عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
في الجنة لسوقا ما فيها شرا ولا بيع الا الصور من الرجال والنسا من اشتهى صورة دخل فيها فاخبر ان الصورة
غير الذي يدخل فيها وكذلك الصورة التي اتى ملك الموت فيها موسى ... ادخل الملك فيها فالفقو
انما حل في الصورة دون الملك وهو ان يكون الله جل وعز اذهب عين الصورة عند لطم موسى فكانه
في ذلك الوقت في صورة رجل اعور كما كان جبريل ياتي النبي عليهما السلم في صورة رجل ليس له اجنحة
ولا ذلك العظم الذي له مرة على صورة دحية فهو يعرفه فيها ومرة على صورة غيره فلم يعرفه فيها كذلك
ملك الموت اتى موسى حين اتاه على صورة انسان صحيح العينين ثم نقله الله تعالى عند لطم موسى على صورة
انسان ففقئت عينه وهو ملك كما هو قبل انتقاله الى احدى الصورتين او ينتقل من الملكية الى الانسانية
والبشرية والله فعل ذلك بما اعني الصورة دون موسى والله يفعل ما يشا وهو تعالى مصيب في افعاله
وافعاله كلها حكمة وصواب جهل وجه الحكمة فيها او علم

الحديث السادس والعشرون والماية

حدثنا حاتم بن عقيل نا يحيى نا اسمعيل نا علي الحابي نا سنان بن هارون عن حميد عن انس ان ام حبيبة او
غيرها قالت للنبي صلى الله عليه يا رسول الله المراة يموت زوجها فتتزوج بعده زوجا اخر ثم تموت
لمن هي قال لاحسنهما خلقا معها وحدثنا طلحة بن محمد نا نصر بن زكريا نا هشام بن عمار نا الوليد
بن مسلم عن ابي بكر بن ابي مريم عن عطية بن قيس ان معوية بن ابي سفيان خطب ام الدردا بعد وفاة
ابي الدردا فقالت سمعت ابا الدردا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المراة لاخر ازواجها
في الجنة وما كنت لاختار على ابي الدردا يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم عرف من ام حبيبة

قبوله فان كان من باب التواتر اوجب العلم والعمل وان كان من باب الاحاد اوجب العمل
وهذا الحديث وان كان مما لا يوجب العلم عند بعض الناس فانه مما يوجب العمل لشهرته
في نفسه ورواته وصحة اسناده وما كان هذا سبيله فانه وان كان لا يوجب العلم فانه لا يجوز
رده وانكاره ودفعه فان في رده تكذيب الايمة وجرح عدول الامة سمعت ابا محمد
احمد بن عبد الله المزني يقول وللعلما الاثريين في تلقي الاخبار المتشابهة مذهبان احدهما ان الايمان
بها فرض كالايمان بمتشابه القران حين يقول والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند
ربنا اي كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا وقد استاثر الله تعالى بعلم المتشابه في هذا
القول فلا يعلمه الا الله جل وعز قالوا فمثله المتشابه من اخبار الرسول اذا عجب عنا
علم تاويله امنا وصدقنا بما قال ووكلنا علم تاويله الى الله ثم حدثنا الهيثم عبد الله
القسم بن زكريا المقري نا محمد بن الصباح نا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي انه سال الزهري عن
بعض الاخبار المتشابهة فقال من الله العلم وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم امروا
احاديث رسول الله كما جات وقال عبد الله بن نافع سيل مالك بن انس عن قوله الرحمن
على العرش استوى فقال الاستوا غير معقول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال
عنه بدعة وما اراك الا ضالا هذا مذهب كثير من العلما قال والمذهب الثاني ان
الايمان بما قاله الرسول فرض والبحث عن متشابه التنزيل واخبار الرسول واجب في الاصول
والعقول فرارا من تعطيل الصفات وافة التشبيهات قال والقدوة في هذين المذهبين
بعلي وابن عباس ومن تابعهما من فقها اهل الاثر قلنا وبمعرفة المحكم والمتشابه يتميز الفاضل
من المفضول والعالم من المتعلم والحكيم من المتخرق ومن امر الاحاديث على ما جات حين
التبس عليه كنه معرفتها لم يردها رد منكر جاحد بل امن واستسلم وانقاد ووكل علمه
الى الله تعالى والى من علمه الله وفوق كل ذي علم عليم ورد الاخبار والمتشابه من القران
طريق سهل يستوي فيه العالم والجاهل والسفيه والعاقل وانما تبين فضل العلما وعقول
العقلا بالبحث والتفتيش واستخراج الحكمة من الاية والسنة وحمل الاخبار على ما
يوافق الاصول ويصححه العقول وهذا الحديث له في كتاب الله نص ما يظهر قال الله تعالى

في خبر موسى وهارون عليهما السلم ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الى قوله واخذ
براس اخيه يجره اليه فقال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وليس الجر الى الخشونة والغلظة
باقل من الدفع عنك بالخشونة والغلظة وهو الصك واللطم فان اللطم دفع عنك بخشونة
وغلظة فهما سوا وليس هارون بادون منزلة من ملك الموت بل هو اجل قدرا منه واعلى
مرتبة وابين فضلا عند اكثر علما الامة من اهل النظر والاثر لانه نبي مرسل قال الله تعالى ثم
ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين وهو مع جليل قدره في نبوته وعلو درجته
في رسالته اخو موسى لابيه وامه واكبر سنا منه وقال النبي صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة
على صغيرهم كحق الوالد على ولده فاذا اخبر الله جل وعز عن موسى انه اخذ براس اخيه ولحيته
وجره اليه بعنف وغلظة حتى استعطفه عليه واعتذر اليه فقال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب قولي وقوله ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا الاية ولولا ذلك عسى كان يكون منه اليه ما هو اعظم
مما صنع به ثم لم يجد في الكتاب ما يدل على عتاب الله اياه ولا على توبة منه ولو كان ذلك
منه ذنبا او زلة لظهر ذلك نصا في الكتاب او دلالة كما ذكر الله تعالى زلات الانبيا
ومعاتبته اياهم عليها وتوبتهم منها الى الله ورجوعهم اليه واستغفارهم اياه واعترافهم على
انفسهم بالظلم لها كما قال في قصة ادم عليه السلم الم انهكما عن تلكما الشجرة هذا عتابه اياهما
في امثالها من الكلمات وقال في اعترافهما وتوبتهما ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين وقال في قصة نوح لا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من
الجاهلين وقال في اعترافه وتوبته رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم وان لم
تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وفي قصة داود وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وقال في موسى وقتله القبطي هذا من عمل الشيطان
انه عدو مضل مبين وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم
فلو كان جر موسى اخاه واخذه براسه ولحيته ذنبا منه او زلة لظهر اعترافه في نفسه
وتوبته الى ربه او معاتبة الله تعالى اياه فلما لم يكن دل ان ذلك لم تكن معصية ولا زلة كذلك

نموذج شرح الحديث من نسخة المكتبة الوطنية بباريس (رقم ٥٨٥٥) المؤرخ نسخها بسنة ٦٩١هـ :

ويصححه العقول وهذا الحدث له في كتاب الله تعالى نصا نظيره
قال الله تعالى في خبر موسى وهارون صلوات الله عليهما ولما رجع
موسى الى قومه غضبان اسفا الى قوله عز وجل واخذ براس اخيه
يجره اليه وقال عز وجل يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وليس
الجر اليك بالخشونة والغلظة باقل من الدفع عنك بالخشونة
والغلظة وهو الصك واللطم فان اللطم دفع عنك بغلظه وهو
وخشونة فهما سوا وليس هارون بادون منزلة من ملك الموت
بل هو اجل قدرا منه واعلا مرتبة وابين فضلا عند اكثر
علماء الامة من اهل النظر والاثر لانه صلى الله عليه وسلم نبي مرسل
قال الله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين
الى فرعون وملايه هو مع جليل قدره في نبوته وعلو درجته في
رسالته اخو موسى صلوات الله عليه لابيه وامه واكبر سنا
منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم
كحق الوالد على ولده فاذا اخبر الله تعالى عن موسى صلوات الله عليه
انه اخذ براسه ولحيته وجره اليه بعنف وغلظه حتى اسقط
عليه واعتذر اليه فقال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني
خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب قولي وقوله ان
القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا
الاية ولولا ذلك عسى كان يكون منه اليه ما هو اعظم مما صنع به
ثم لم نجد في الكتاب ما يدل على عتاب الله تعالى اياه ولا على توبته
منه ولو كان ذلك منه صغيرة او زلة لظهر ذلك نصا في الكتاب

الغلظة لسه حر

وغلظه

مطلب في ان هارون عليه السلام اخ موسى عليه السلام لابيه وامه واكبر سنا منه

او دلالة كما ذكر الله تعالى زلات الانبياء صلوات الله عليهم ومعاتبته
اياهم عليها وتوبتهم منها الى الله عز وجل ورجوعهم اليه واستغفارهم
اياه واعترافهم على انفسهم بالظلم لها كما قال عز وجل في قصة
ادم صلوات الله عليه الم انهكما عن تلكما الشجرة هذا عتابه
لهما في امثالها من الايات وقال عز وجل في اعترافهما وتوبتهما
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقال عز وجل في قصة نوح عليه السلام فلا تسالن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقال الله تعالى في اعترافه وتوبته
رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين وفي قصة داود عليه السلام وظن داود انما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وقال
عز وجل في موسى صلوات الله عليه وسلامه وقتله القبطي هذا من
عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له فلو كان جره اخاه اليه واخذه براسه ولحيته زلة
منه لظهر اعترافه على نفسه وتوبته الى ربه او معاتبة الله تعالى
اياه فلما لم يكن دل انها لم تكن منه معصية ولا زلة كذلك
صكه ملك الموت ولطمه اياه لانهما عنفان احدهما بالدفع
والاخر بالجر اليك الى كريمين على الله تعالى احدهما رسول نبي
والاخر ملك زكي وكما لم يرد في الكتاب عتاب ولا ذكر توبة
واعتراف في قصة هارون عليه السلام كذلك لم يرد في الخبر عتاب
ولا توبة واعتراف في قصة الملك فما جاز في الكتاب من التاويل

ومه

مطلب في ان غضب موسى لهارون عليهما السلام كان لله تعالى لا لنفسه وكانت فيه حمية وغضب وعجلة وحدة كلها في الله ... والجميع صفة مدح ونعت ثناء

ساغ ذلك في الخبر ان شا الله وانما لم يكن فعله صلى الله عليه وسلم
بهارون صلوات الله عليه مع عظم حرمته لنبوته ورسالته واخوته
وقرابته وحق سنه ذلة لانه صلوات الله عليه وسلامه غضب لله
تعالى لا لنفسه وكانت فيه حمية وغضب وعجلة وحدة كلها
في الله ولله تعالى الا ترى الى قوله عز وجل وما اعجلك عن قومك
يا موسى قال هم اولا على اثري وعجلت اليك رب لترضى اخبر ان
عجلته كان طلبا لرضاه كذلك حدته وغضبه على اخيه
وصنيعه به الا تراه يقول ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن
افعصيت امري فكانت تلك الحدة منه والغضب فيه صفة
مدح له لانها كانت لله وفي الله تعالى كما كانت رافة النبي صلى الله عليه
وسلم صفة مدح اذ كانت لله وفي الله تعالى ثم كان يغضب حتى تحمر وجنته
ويدر عرقه في الله عز وجل وبذلك وصف الله تعالى المومنين بقوله
تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم وقال عز وجل اذلة على المومنين اعزة
على الكافرين وقال عز وجل ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فلما
كانت الغلظة والشدة لله وفي الله عز وجل كذلك الغضب والحدة
من موسى عليه السلام في الله ولله تعالى والجميع صفة مدح ونعت ثنا
الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم في مدحه ابا بكر رضي الله عنه في رقته ورحمته
وتشبيهه اياه بابرهيم عليه السلام اذ يقول يجادلنا في قوم لوط ان
ابرهيم لحليم اواه منيب وقال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك
غفور رحيم وبعيسى عليه السلام حين قال ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وقوله في عمر رضي الله عنه ومدحه

ورحمته

مطلب ان صك الملك ولطمه اياه لم يكن زلة لانها لم يكن بسبب نفسه وانما كان غضبا لله تعالى وشدة في امر الله وحمية لدين الله عز وجل وذلك ان ملك الموت عليه السلام جاء في صورة انسان فيجوز ان يكون موسى عليه السلام لم يعرف انه ملك كما لم يعرف النبي عليه السلام جبريل عليه السلام حين جاءه يسال عن الايمان والاسلام

له في غلظته وشدته في الله ولله وتشبيهه اياه بنوح عليه السلام
حين قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوصاف الانبيا عليهم
والرسل اوصاف مدح ونعوتهم نعوت ثنا صلوات الله عليهم فيجوز
ان يكون صكه لملك الموت ولطمه اياه لم يكن زلة لانها لم تكن بسبب
نفسه وانما كان غضبا لله تعالى وشدة في امر الله تعالى وحمية لدين
الله عز وجل وذلك ان الملك اتاه في صورة انسان فيجوز ان يكون
موسى عليه السلام لم يعرفه انه ملك رسول الله تعالى كما لم يعرف
النبي صلى الله عليه وسلم جبريل صلوات الله عليه حين جاءه يسال عن
الايمان والاسلام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل صلوات
الله عليه اتاكم يعلمكم معالم دينكم والله ما اتاني في صورة قط الا
وقد عرفته فيها الا في هذه الصورة فكذلك موسى عليه السلام يجوز
ان يكون اتاه في صورة لم ياته فيها قبلها فلم يعرفه ثم اراد قبض
روحه انكر ان يكون انسان يريد قبض روح كليم الله ورسوله
فصكه ولطمه انكارا له وردا عليه انه ملك وانه لله رسول
انكر عليه ادعاءه ما ليس للبشر من قبض ارواح الانبياء ومن ادعى
ذلك من البشر فهو كاذب على الله عز وجل فغضب لله تعالى فصكه
ولطمه الا ترى انه لما عاد اليه مخيره بين ان يضرب يده على جنب
ثور وان يموت اختار الموت استسلاما لله تعالى ورضا بحكمه وتصديقا
لرسوله واما فقا عينه فانه لم يكن فعلا لموسى صلوات الله
عليه وان كان على اثر لطمه اياه وصكه له وانما ذلك فعل الله
عز وجل احدثه في الصورة التي الملك فيها وذلك ان الانسان عندنا

يفقا

لا يفعل غيره وانما يفعل في محل قدرته وما يحدث بعد ذلك من الم عند الضرب وموت عند قطع الاوداج وذهاب السهم بعد الرمي وغير ذلك مما يظهر بعد حركات المحدث في نفسه فانها كلها افعال لله تعالى في الحطب والجمع بينهما والبرد في الثلج وغير ذلك كلها افعال لله تعالى يحدثها ويخترعها اذا شاء وحين يريد وان كان ذلك على اثر حركات المحدث في نفسه والفقها انما حل في الصوره لا في الملك لان بنية الملايكه وخلقتهم ليست من الامشاج والطبايع المختلفه التي تقبل الكون والفساد وتحلها الافات وتوثر فيها افعال المحدث لانهم لا ينامون ولا يتوالدون ولا يتناسلون ولا ياكلون ولا يسامون ولا يستحسرون ولا يفترون وكل هذه آفات والفقها آفه وهم لا تحلهم الافات فالافه التي هي الفقها انما حل في الصوره التي جا الملك فيها لا في عين الملك وليس الملايكه كالناس فان الانسان انسان بصورته وخواصه ولا يكون الانسان انسانا بخواصه دون صورته التي هي صوره الناس فانه ان وجدت خواصه في نوع من انواع الحيوان ولم توجد صوره الانسان فليس ذلك النوع انسانا حتى يوجد بنيه الانسان وصورته وخواصه والملك ملك بخواصه دون صورته لان صورهم مختلفه وخواصهم واحده فمنهم من هو على صوره الانسان ومنهم على صوره الطير ومنهم على صوره السباع ومنهم على صوره الانعام وكلهم ملايكه ولهم اجنحه على افراد مختلفه قال الله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملايكه رسلا اولي اجنحه مثنى وثلاث ورباع ثم قال يزيد في

الخلق ما يشا وقيل في حمله العرش انهم اربعه املاك احدهم على صوره الانسان يشفع لله تعالى في ارزاقهم والثاني على صوره النسر يشفع لله تعالى في ارزاق الطير ودفع الاذى عنهم والثالث على صوره الاسد يشفع لله تعالى في ارزاق السباع ودفع الاذى عنهم والرابع على صوره الثور يشفع الى الله تعالى في ارزاق البهايم ودفع الاذى عنهم بصدق ذلك ما حدثنا محمد بن حامد البزار قال حدثنا حامد بن سهل قال حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبده عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبه عن عكرمه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اميه بن ابي الصلت في شي من شعره

رجل وثور تحت رجل يمينه ❊ والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق قال

والشمس تطلع كل آخر ليله ❊ حمرا يصبح لونها يتورد
تابى فما تطلع لنا في رسلها ❊ الا معذبه والا تجلد

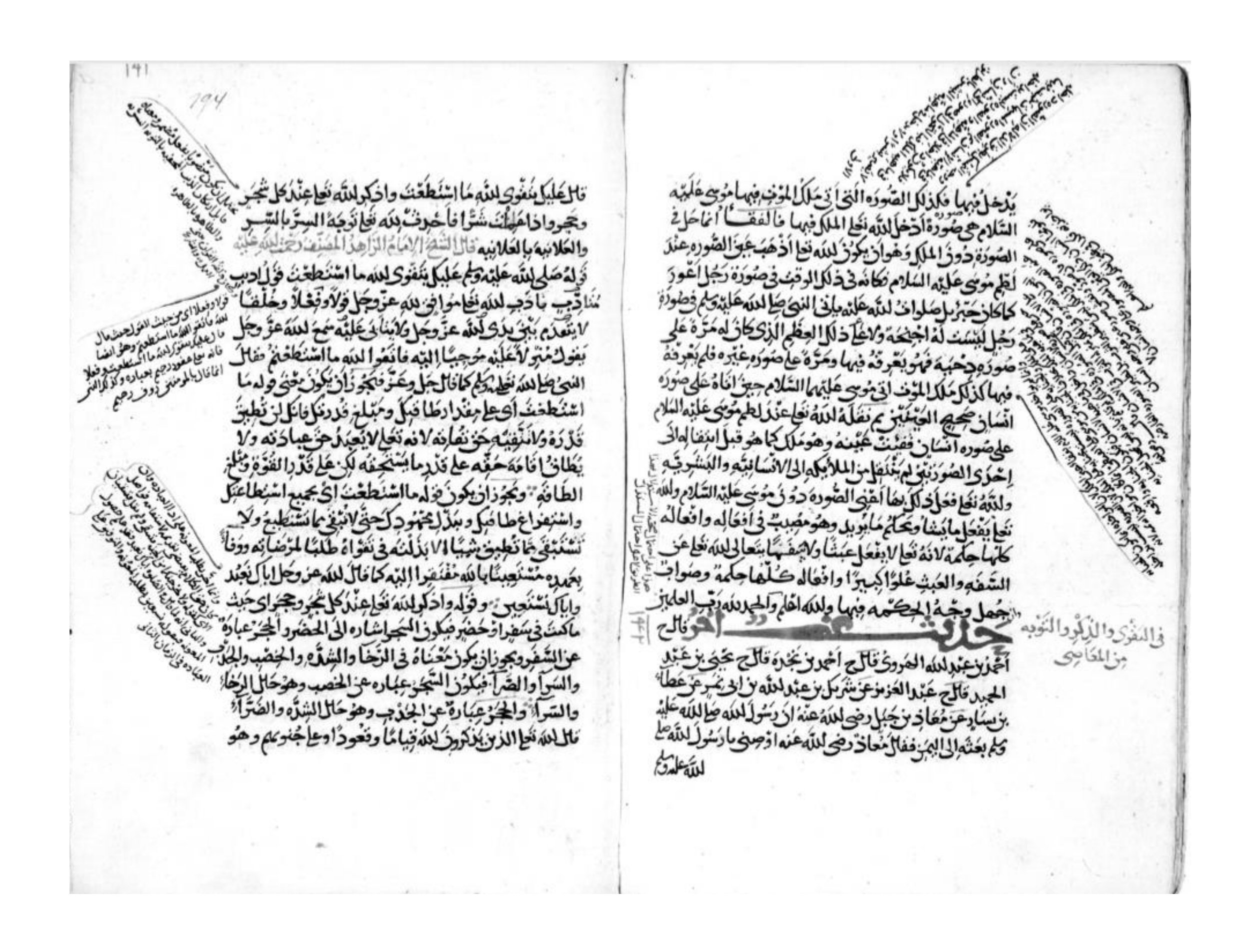
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فلما كانت الصوره صوره اسد وثور وانسان وهو ملك بان ان الملك لم يكن ملكا للصوره وانما هو ملك بخاصيته الذي هو خاصته والانسان انسان بخاصيته وصورته الا ترى ان جبريل صلوات الله عليه كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صوره دحيه وهو عليه السلام بصورته التي هي صورته كما شا الله عز وجل من عظم خلقه وعجيب صورته حدثنا خلف بن محمد قال حدثنا ابراهيم بن معقل قال حدثنا محمد بن

مطلب في ان جبرائيل عليه السلام سته مايه جناح وان فضل خلقه على خلق اسرافيل كفضل الطود العظيم على الطرب

اسماعيل قال حدثنا ابو النعمان قال حدثنا عبد الواحد قال حدثنا الشيباني قال سمعت الزر عن عبد الله في قوله فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى قال حدثنا ابن مسعود رضي الله عنه انه راى جبريل صلوات الله عليه وله ست مايه جناح وحدثنا محمد بن محمد قال حدثنا نصر بن زكريا قال حدثنا عمار بن الحسن قال حدثنا سلمه بن الفضل قال حدثني محمد بن اسحاق عن الفضل بن عيسى عن عمه يزيد بن ابان الرقاشي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا نبي الله من هولا الذين استثنى الله جل وعز قال جبريل وميكايل وملك الموت صلوات الله عليهم اجمعين فيقول الله عز وجل لملك الموت يا ملك الموت من بقي وهو اعلم فيقول سبحانك ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكايل وملك الموت فيقول الله تعالى لملك الموت يا ملك الموت خذ نفس ميكايل فياخذه فيقع في صورته التي خلقه الله تعالى فيها مثل الطود العظيم ثم يقول وهو اعلم يا ملك الموت من بقي قال فيقول سبحانك ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وملك الموت قال يقول يا ملك الموت مت قال فيموت فيبقى جبريل عليه السلام وهو من الله تعالى بالمكان الذي ذكر لكم فيقول الله عز وجل يا جبريل انه لا بد من ان تموت فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي وبحمدك انت الباقي الدايم وجبريل الفاني الهالك الميت قال فياخذ الله تعالى روحه فيقع على ميكايل وان فضل خلقه على خلق ميكايل كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب ثم مكث الله تعالى كما كان ليس معه شي من الخلق ما شا لا يبين لاحد من العباد علم بما هو كاين وفي حديث اخر

ان النبي صلى الله عليه وسلم راى جبريل على صورته قد سد الافق حدثنا المحمودي قال حدثنا محمد بن سليمان قال حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا سعيد عن قتاده عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عايشه رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جبريل منهبطا من السما سادا عظم خلقه ما بين السما والارض فهذه صورته التي هو عليها ثم ياتي النبي صلى الله عليه وسلم على صوره دحيه الكلبي وهو اذ ذاك جبريل عليه السلام على الحقيقه يقول الله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقال الله تعالى انه لقول رسول كريم فالنازل بالقران والوحي هو جبريل عليه السلام على الحقيقه والصوره صوره دحيه قال وسمعت بعض شيوخ المتكلمين يقول انه كان يخلقه الله تعالى في ذلك الوقت انسانا وبشرا اي في ذلك الوقت وهذا لا يستقيم وهو وهم منه وذلك انه لو كان كما قاله لكان قول المشركين صدقا حيث قالوا انما يعلمه بشر والله عز وجل يقول علمه شديد القوى وقال عز وجل نزل به الروح الامين فجبريل عليه السلام جبريل وان كانت الصوره صوره انسان اذا فالصوره ليس الملك وان كان الملك في تلك الصوره وقد جا في الحديث عن النبي صلى الله عليه فيما حدثنا حاتم قال حدثنا يحيى قال حدثنا ابو معاويه عن عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعيد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنه لسوقا ما فيها شرى ولا بيع الا الصور الرجال والنسا من اشتهى صوره دخل فيها فاخبر ان الصوره غير الذي

مطلب ان في الجنه سوقا يباع فيها صور الرجال والنسا



***

منهج الكلاباذي في شرحه هذا الحديث :

١ - التأصيل للموقف من الأخبار بنوعيها : القطعي والظني .

٢ - تقدير أصحاب التخصص في تخصصهم ، وتجلى ذلك في موقفه من جهود المحدِّثين في التصحيح والتضعيف ، والتسليم لهم في علمهم .

٣- التأصيل للموقف من الأخبار المشكلة (المتشابهة) .

٤ - قياس الأحاديث النبوية على الآيات القرآنية : في منهج التعامل مع متشابهها ؛ لأن اتباع منهج للمتشابه في الأحاديث النبوية يُلزم بمثله في الآيات القرآنية ؛ حيث إن وجود

لمتشابه مشترِكٌ بينهما ، فكما تعاملنا مع القرآن الكرين وفق إرشادٍ قرآني مع المتشابه ، وجب مثله مع السنة .

ولا يؤثر هنا تباين منزلة الثبوت بين متشابه القرآن ومتشابه السنة ؛ لأن التشابه هو سبب الإشكال ، وليست درجة الثبوت : هل هي القطع (كما في القرآن) أم الظن (كما في آحاد السنة غير المحتفّ بالقرائن).

٥- التأكيد على أن ردَّ الخبر المتشابه ليس عملا يستحق التقدير ؛ لأن أسهل شيء ردّ ما أشكل عليك ، لمجرّد أنك لم تفهمه فهمًا لا يجعله مشكِلًا . وأن صنعةَ العلم والعلماء تكمن في إزاحة الإشكال ورفع المعنى المتوهَّم عن دلالة الخبر الذي جعله مشكِلًا .

وفي هذا فضحٌ للمراهقين فكريًّا من المتسوِّرين على العلوم ، بادعاء التجديد وتنقية التراث : أن جرأتهم على النصوص بالردّ والإبطال ليس بُطولةً علمية ، ولا هو من شأن أهل العلم ، بل هو من شأن الجهلة . وحسب تعبير الفقيه أبي محمد المزني : «ورَدُّ الأخبار والمتشابه من القرآن : طريقٌ سهلٌ ، يستوي فيه العالم والجاهل ، والسفيه والعاقل . وإنما يتبين فضل علم العلماء ، وعقولُ العقلاء : بالبحث والتفتيش ، واستخراجِ الحكمة من الآية والسنة ، وحَمْلِ الأخبار على ما يوافق الأصول ، وتُصَحِّحُه العقولُ».

٦- والسبب في أن ردَّ الخبر المتشابه ليس عملا يستحق التقدير : أمران :

- أن لثبوت الخبر حُرمة ، وانتهاكُ هذه الحرمة (سواء أكانت قطعية أو ظنية) بغير سببٍ موجب لذلك = ظلمٌ للمعرفة ، كظلم ردّ العلم بالجهل ، ورد العلم بالجهل عبثٌ لا يليق بمبتغٍ للحق .

- أن إزاحة الإشكال يحقِّقُ هدفَ من ردَّ الخبر ؛ إذ لعلّه ردَّ الخبر تنزيهًا للنبي ﷺ من أن يقول باطلًا . فإذا حُلَّ الإشكال ، وبُيِّنَ أنه لم يعد هناك ما يوجب تنزيه النبي ﷺ عنه من المعاني الباطلة = لم يبق هناك داعٍ للردّ .

٧- أن الجواب الذي قبلناه في في إزاحةِ إشكالٍ تَوَجّهَ في آيةٍ قرآنية ، يجب قبول مثله في السنة النبوية ؛ وإلا سنكون قد رضينا بازدواجيّةٍ جائرةٍ في القبول والرد ، وصار قَبولنا ورَدُّنا بلا معاييرَ علميةٍ صحيحةٍ .

ألا تراه عندما قال : « فلو كان جره أخاه إليه وأخذه برأسه ولحيته زلةً منه : لظهر اعترافه على نفسه وتوبته إلى ربه، أو معاتبة الله إياه . فلما لم يكن : دلَّ أنه لم يكن منه معصية ولا زلة.

كذلك صَكُّه ملك الموت ولَطْمُه إياه ؛ لأنهما عُنفان:

- أحدهما : بالدفع عنك .
- والآخر : بالجر إليك .

إلى كريمين على الله تعالى :

- أحدهما : رسول نبيٌّ .
- والآخر : مَلَكٌ زكي .

وكما لم يَرِدْ في الكتاب عتابٌ ولا توبة واعترافٌ في قصة الملك ، فما جاز في الكتاب من التأويل : [ساغ] ذلك في الخبر (إن شاء الله)».

٨- أن الإشكال الذي قد يبدو للعجِل الجاهل في حديثٍ نبوي قد يوجد نحوه في القرآن الكرين ، بل قد يكون إشكالُ الحديث النبوي أهونَ إشكالا من مثله في آيةٍ قرآنية ، ومع ذلك تجد هذا المتهوِّرَ جريئًا على الحديث النبوي بالردّ بما لا يجرؤ بمثله على الآية القرآنية التي حوت من سبب الردّ – في جهله وعجلته – مثلَ ما جاء في السُّنة أو أشد! وهو إن كان يُمدَح بتعظيمه القرآن ويقينه في التصديق بخبره ، لكنه يُذَمُّ بعدم انضباط معاييره في القبول والرد ، والتي قد تعود عليه بالتشكيك في القرآن لو اطّردَ مع وساوسها .

قال الكلاباذي : « وهذا الحديث له في كتاب الله نَصًّا نظيرٌ : قال تعالى في خبر موسى وهارون عليهما السلام ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾، وقال ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾. وليس الجرُّ إليك بالخشونة والغلظة بأقل من الدفع عنك بالخشونة والغلظة، وهو الصك واللطم، فإن اللطم دفعٌ عنك بغلظة وخشونة ، فهما سواه . وليس هارون بأدون منزلةً من ملك الموت صلوات الله عليهما، بل هو أجلُّ قدرًا منه، وأعلى مرتبةً ، وأَبينُ فضلًا ، عند أكثر علماء الأمة من أهل النظر والأثر؛ لأنه عليه السلام نبيٌّ مرسل قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾. وهو مع جليل قدره في نبوته، وعلو درجته في رسالته: أخو موسى لأبيه وأمه، وأكبر سنا منه ، وقال رسول الله ﷺ : "حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده" . فإذا أخبر الله تعالى عن موسى (عليه السلام) أنه أخذ برأسه ولحيته وجره إليه بعنف وغلظة ، حتى استعطفه عليه، واعتذر إليه، فقال ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، وقوله ﴿إِنَّ

الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾، ولولا ذلك عسى كان يكون منه إليه ما هو أعظم مما صنع به . ثم لم نجد في الكتاب ما يدل على عتاب الله إياه، ولا على توبته منه . ولو كان ذلك منه صغيرة أو زلة : لظهر ذلك نصا في الكتاب أو دلالة، كما ذكر الله تعالى زلات الأنبياء (صلوات الله عليهم)، ومعاتبتَه إياهم عليها ، وتوبتهم منها إلى الله، ورجوعَهم إليه، واستغفارهم إياه، واعترافهم على أنفسهم بالظلم لها . كما قال جل جلاله في قصة آدم صلوات الله عليه ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾، هذا عتابه لهما في إمثالها من الآيات. وقال تعالى في اعترافهما وتوبتهما ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾. وقال تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وقال عز وجل في اعترافه وتوبته ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. وفي قصة داود صلوات الله عليه ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾، وقال عز وجل في موسى (عليه السلام) وقتله القبطي ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، وقال ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ ...» إلى آخر جوابه .

٩- حدّدَ الكلاباذي الإشكالات في هذا الحديث ، وهي :

أ-غِلْظَة موسى (عليه السلام)، بما يُظن منافيًا لما يجب أن يكون عليه خُلُق الأنبياء .

ب-غضب موسى (عليه السلام) على ملك الموت لحظ نفسه : بعدم الموت !!

ت-فَقْءُ العين عدوانٌ ، فكيف يُنسَبُ العدوان إلى الأنبياء .

ث-ضرب موسى (عليه السلام) ملكَ الموت خوفًا من الموت ، وهل يليق بنبي أن يخشى من الموت مثل هذه الخشية؟!

ج-كيف يرد موسى (عليه السلام) ملك الموت وهو رسول الله تعالى إليه ، يأتمر بأمر الله تعالى ، ولا يقبض روحًا إلا بإذنٍ من الله عز وجلّ .

ح- كيف يتمكّن موسى (عليه السلام) من إيذاء ملك الموت على هذه الصورة من الإيذاء، وكأنه مخلوق ضعيف يمكن التسلط عليه من البشر بمثل هذا التسلّط.

قال الكلاباذي : «لأن بِنْيَةَ الملائكة وخِلقتهم ليست من [الأمشاج] والطبائع المختلفة التي تقبل [الكون] والفساد ، وتحلها الآفات ، ويؤثر فيها أفعال الـمُحدِث؛ لأنهم لا ينمون، ولا يتوالدون، ولا ينامون، ولا يأكلون، ولا يسأمون، ولا يَسْتَحْسِرون، ولا يَفْتُرون، وكل هذه آفات، والفقءُ آفة، وهم لا تحلهم الآفات».

١٠- أجاب الكلاباذي عن هذه الإشكالات :

أ- أن القرآن الكريم قد أثبت لموسى (عليه السلام) ما سماه المستشكِلُ غلظة ، في قصته مع أخيه هارون (عليه السلام) .

قال الكلاباذي : «وليس الجرُّ إليك بالخشونة والغلظة بأقل من الدفع عنك بالخشونة والغلظة، وهو الصك واللطم، فإن اللطم دفعٌ عنك بغلظة وخشونة، فهما سواه . وليس هارون بأدون منزلةً من ملك الموت صلوات الله عليهما ، بل هو أجلُّ قدرًا منه، وأعلى مرتبةً ، وأَبينُ فضلًا ، عند أكثر علماء الأمة من أهل النظر والأثر؛ لأنه عليه السلام نبيٌّ مرسل قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى

وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾. وهو مع جليل قدره في نبوته، وعلو درجته في رسالته : أخو موسى لأبيه وأمه، وأكبر سنا منه ، وقال رسول الله ﷺ : "حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده" . فإذا أخبر الله تعالى عن موسى (عليه السلام) أنه أخذ برأسه ولحيته وجره إليه بعنف وغلظة، حتى استعطفه عليه، واعتذر إليه، فقال ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، وقوله ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾، ولولا ذلك عسى كان يكون منه إليه ما هو أعظم مما صنع به . ثم لم نجد في الكتاب ما يدل على عتاب الله إياه، ولا على توبته منه . ولو كان ذلك منه صغيرة أو زلة : لظهر ذلك نصا في الكتاب أو دلالة، كما ذكر الله تعالى زلات الأنبياء (صلوات الله عليهم)، ومعاتبتَه إياهم عليها ، وتوبتهم منها إلى الله، ورجوعَهم إليه، واستغفارهم إياه، واعترافهم على أنفسهم بالظلم لها . كما قال جل جلاله في قصة آدم صلوات الله عليه ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾، هذا عتابه لهما في إمثالها من الآيات. وقال تعالى في اعترافهما وتوبتهما ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾. وقال تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وقال عز وجل في اعترافه وتوبته ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. وفي قصة داود صلوات الله عليه ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾، وقال عز وجل في موسى (عليه السلام) وقتله القبطي ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، وقال ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾.

فلو كان جره أخاه إليه وأخذه برأسه ولحيته زلةً منه : لظهر اعترافه على نفسه وتوبته إلى ربه، أو معاتبة الله إياه . فلما لم يكن : دلَّ أنه لم يكن منه معصية ولا زلة.

كذلك صَكُّه ملك الموت ولَطْمُه إياه ؛ لأنهما عُنفان:

- أحدهما : بالدفع عنك .
- والآخر : بالجر إليك .

إلى كريمين على الله تعالى :

- أحدهما : رسول نبيٌّ .
- والآخر : مَلَكٌ زكي .

وكما لم يَرِدْ في الكتاب عتابٌ ولا توبة واعترافٌ في قصة الملك ، فما جاز في الكتاب من التأويل : [ساغ] ذلك في الخبر (إن شاء الله) .

ب- لم يكن غضب موسى (عليه السلام) لحظ نفسه ، بل كان لله تعالى .

قال الكلاباذي : « فكذلك موسى يجوز أن يكون أتاه في صورة لم يأته فيها قبلها، فلم يعرفه ، ثم أراد قبض روحه ، أنكر أن يكون إنسانٌ يريد قبض روح كليم الله ورسوله، فصَكَّهُ ولطمه إنكارًا له ، ورَدًّا عليه أنه مَلَكٌ ، وأنه لله رسول ، [و] أنكر عليه ادّعاءه ما ليس للبشر من قبض أرواح الأنبياء ، ومن ادعى ذلك من البشر فهو كاذب على الله ، فغضب لله فصكه ولطمه».

ت- أما فقءُ العين فجوابه من وجهين :

الأول : أن موسى (عليه السلام) كان في حالة دفع عدوان عن نفسه ، فقد جاءه من صورته صورة بشر يُخبره بأنه سوف يقبض روحه ، أي أنه سوف يقتله . فكان واجبًا على موسى (عليه السلام) أن يدفع عن نفسه ، وليس فقءُ العين بأشد عدوانًا من إزهاق النفس ، وإذا رددتَ على عدوان القتل بأقل منه لم تكن في ذلك معتديًا . فكيف إذا كان المعتدَى عليه نبي من الأنبياء ، والمعتدي بشرًا في ظن موسى (عليه السلام) .

الثاني : أن فقء العين هو فعل الله تعالى في عين صورة الملَك ، وليس فعلا لموسى (عليه السلام) . وسيأتي الحديث عن ذلك .

ث- لم يكن ضرب موسى (عليه السلام) خوفًا من الموت ، وإنما هو دفع لعدوان القتل ، لما كان موسى (عليه السلام) يظن الملَك رجُلًا .

قال الكلاباذي : « يجوز أن يكون أتاه في صورة لم يأته فيها قبلها، فلم يعرفه، ثم أراد قبض روحه ، أنكر أن يكون إنسانٌ يريد قبض روح كليم الله ورسوله، فصَكَّهُ ولطمه إنكارًا له ، ورَدًّا عليه أنه مَلَكٌ ، وأنه لله رسول، [و] أنكر عليه ادّعاءه ما ليس للبشر من قبض أرواح الأنبياء ، ومن ادعى ذلك من البشر فهو كاذب على الله ، فغضب لله فصكه ولطمه . ألا ترى أنه لما عاد إليه ، فخيره بين أن يضرب يده على جنب ثور وأن يموت، اختار الموت، استسلامًا لله ، ورضاءً لحكمه، وتصديقًا لرسوله».

ج- أما يرد موسى (عليه السلام) ملك الموت وهو رسول الله تعالى إليه ، يأتمر بأمر الله تعالى ، ولا يقبض روحًا إلا بإذنٍ من الله عز وجلّ : فجوابه في الفقرة السابقة .

ح- أما كيف يتمكّن موسى (عليه السلام) من إيذاء ملك الموت على هذه الصورة من الإيذاء، وكأنه مخلوق ضعيف يمكن التسلط عليه من البشر بمثل هذا التسلّط ؟! فسبق أنه :

أولا : إنما جاءه على هيئة بشر .

ثانيا : أن الذي فعله موسى هو الصك ، أما أثرُ الصك (من الفقوء) فهو فعل الله تعالى ، كما قال تعالى

ثالثا : أنه تسلط على صورة لملك الموت ليست هي صورته ، ولم يتسلّط على صورته الحقيقية ولا على خاصيّة الملَك .

قال الكلاباذي : « فالآفة – التي هي الفقءُ – إنما حل في الصورة التي جاء الملك فيها ، لا في عين الملك . وليس الملائكة كالناس ؛ فإن الإنسانَ إنسانٌ بصورته وخواصه، ولا يكون الإنسان إنسانًا بخواصه دون صورته التي هي صورة الناس؛ فإنه إن وجدت خواصه في نوع من أنواع الحيوان، ولم توجد صورة الإنسان ، فليس ذلك النوع إنسانا ، حتى يوجد بِنيةُ الإنسان وصورته وخواصه . والملك ملكٌ بخواصه ، دون صورته ؛ لأن صُورَهم مختلفةٌ ، وخواصهم واحدة، فمنهم من هو فيهم على صورة الإنسان، ومنهم على صورة الطير، ومنهم على صورة السباع، ومنهم على صورة الأنعام،

وكلهم ملائكة، ولهم أجنحة على أعداد متفاوتة قال الله تعالى ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾، ثم قال ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ ...»، إلى أن قال: «والفقءُ إنما حلَّ في الصورة ، دون الملك . وهو أن يكون الله تعالى أذهب عين الصورة عند لطم موسى (عليه السلام)، فكأنه في ذلك الوقت في صورة رجل أعور، كما كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة رجل ليست له أجنحة، ولا على ذلك العظم الذي أتى له : مرة على صورة دحية ، فهو يعرفه فيها ، ومرة على صورة غيره ، فلم يعرفه فيها . كذلك ملك الموت ، أتى موسى (صلوات الله عليهما) حين أتاه على صورة إنسان صحيح العينين، ثم نقله الله عند لطم موسى على صورة إنسان فُقِئت عينه، وهو ملك كما هو قبل انتقاله إلى إحدى الصورتين ، لم ينتقل من الملَكية إلى الإنسانية والبشرية ، والله تعالى فعل ذلك بها ، أعني الصورة ، دون موسى. والله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ، وهو مصيب في أفعاله ، وأفعاله كلها حكمة ؛ لأنه تعالى لا يفعل عبثا ولا سفها : تعالى الله عن السفة والعبث علوا كبيرا ، فأفعاله كلها حكمة وصواب، جُهِلَ وجهُ الحكمة فيها أو عُلم».

***

موازنة جواب الكلاباذي بأجوبة عددٍ من أهل العلم سواه

- **ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) :**

قال ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث) : «والذي نذهب إليه فيه : أن ملائكة الله تعالى رُوحانيون، والرُّوحاني منسوب إلى الروح، نسبة الخلقة، فكأنهم أرواح لا جثث لهم، فتلحقها الأبصار، ولا عيون لها كعيوننا، ولا أبشارَ كأبشارنا.

ولسنا نعلم كيف هيّأهم الله تعالى؛ لأنا لا نعرف من الأشياء إلا ما شاهدنا، وإلا ما رأينا له مثالا ...

(ثم ختم كلامه بقوله): ولما تمثَّلَ ملك الموت لموسى (عليه السلام)، وهذا ملك الله، وهذا نبي الله، وجاذبه = لطمه موسى لطمة أذهبت العين التي هي تخييل وتمثيل، وليست على حقيقة، وعاد ملك الموت عليه السلام إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان، لم ينتقص منه شيء»[1].

- **ابن خزيمة (ت٣١١هـ) :**

قال ابن خزيمة : «أنكر بعض أهل البدع والجهمية هذا الحديث ودفعوه، وقالوا: لا يخلو أن يكون موسى :

- عرف ملك الموت .
- أو لم يعرفه .

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٧١٨- ٧٢١رقم ٨٧).

- فإن كان عرفه : فقد ظلمه ، واستخف برسول الله، ومن استخف برسول الله فهو مستخف بالله .

- وإن كان لم يعرفه ، فرواية من روى أنه كان يأتي موسى عيانًا لا معنى لها.

قال الجهمى: وزعمت الحشوية أن الله لم يقاصص الملك من اللطمة وفقوء العين، والله تعالى لا يظلم أحدًا.

(قال ابن خزيمة): وهذا اعتراضٌ من أعمى الله بصيرته ، ولم يُبصره رشده .

ومعنى الحديث صحيح ، على غير ما ظنهُ الجهمى . وذلك أن موسى (صلى الله عليه وسلم) لم يُبعث الله إليه ملك الموت وهو يريد قبض روحه حينئذ ، وإنما بعثه إليه اختبارًا وابتلاء . كما أمر الله خليله إبراهيم بذبح ابنه، ولم يُرد تعالى إمضاء الفعل ولا قتل ابنه، ففداه بذبح عظيم ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾، ولو أراد قبض روح موسى حين ألهم ملك الموت لكان ما أراد ، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وكانت اللطمة مباحة عند موسى ، إذا رأى شخصًا في صورة آدمي ، قد دخل عنده ، لا يعلم أنه ملك الموت . وقد أباح الرسولُ ﷺ فَقْءَ عين الناظر في دار المسلم بغير إذن، رواه بشير ابن نهيك، عن أبى هريرة أن النبي ﷺ، قال: "من اطلع في دار قوم بغير إذن، ففقأ عينه ، فلا دية ولا قصاص"[1]. ومحال أن يعلم موسى أنه ملك الموت ويفقأ عينه، وكذلك لا ينظره إلا بعلمه.

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٩٠٢، ٦٨٨٨)، ومسلم (رقم ٢١٥٨)، بلفظ : «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ، فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه».

وقد جاءت الملائكةُ خليل الله إبراهيم ولم يعرفهم في الابتداء ، حتى أعلموه أنهم رسل ربهم، قال تعالى﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، ولو علم إبراهيم في الابتداء أنهم ملائكة الله لكان من المحال أن يقدم إليهم عجلاً، لأن الملائكة لا تطعم، فلما وجس منهم خيفة : ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾.

وقد أخبر الله أن رسله جاءت لوطًا فسيئ بهم ، وضاق بهم ذرعًا، ومحال أن يعلم في الابتداء أنهم رسل الله ويضيق بهم ذرعًا، أو يَسيئ بهم .

وقد جاء الملك إلى مريم فلم تعرفه، واستعاذت منه، ولو علمت مريم في الابتداء أنه ملك جاء يبشرها بغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويكون نبيًا : ما استعاذت منه.

وقد دخل الملكان على داود فى شبه آدميين يختصمان عنده ولم يعرفهما وإنما بعثهما الله ليتعظ بدعوى أحدهما على صاحبه، ويعلم أن الذى فعله لم يكن صوابًا فتاب إلى الله وندم، قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

فكيف يُستنكر أن لا يعرف موسى ملك الموت حين دخل عليه ، وقد جاء جبريلُ النبى ﷺ وسأله عن الإيمان والإسلام في صورة لم يعرفه النبي ﷺ ولا أحدٌ من أصحابه، فلما ولَّى أخبر النبيُّ ﷺ أنه جبريل، وقال: "ما أتاني في صورة قط إلا عرفته، غير هذه المرة". وكان يأتيه في بعض الأوقات مرة في صورة، ومرة في صورة أخرى، وأخبر ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها إلا مرتين.

وأما قول الجهمى: إن الله لم يقاصص ملك الموت من اللطمة، فهو دليل على جهل قائله، ومن أخبره أن بين الملائكة وبين الآدميين قصاص ؟!

ومن أخبره أن ملك الموت طلب القصاص من موسى، فلم يقاصصه الله منه؟!

وقد أخبرنا الله تعالى أن موسى قتل نفسًا ولم يقاصص الله منه لقتله.

وقيل: إذا كانت اللطمةُ غير مباحة يكون حكمها على كل الأحوال حكم العمد ، فيه القصاص، أو تكون في بعض الأحوال خطأً تجب فيه الدية على العاقلة ، وما الدليل أن فقء عين ملك الموت كان عمدًا فيه القصاص دون أن يكون خطأ؟! وهل تركُ القصاص من موسى لملك الموت لو كان فقأ عين الملك عمدًا، وكان حكم الملائكة مع بنى آدم القصاص كحم الآدميين ؛ إلا كترك القصاص من موسى لقتيله ؟! وكترك القصاص من أحد بنى آدم لأخيه؟!

وقد يأمر النبيَّ ﷺ بالأمر على وجه الاختبار والابتلاء، لا على وجه الإمضاء لأمره ... وهذا كأمر سليمان بن داود بقطع الصبي باثنين، وإنما أراد أن يختبر مَنْ أمُّ الصبى، لأن الأم أحنى على ولدها وأشفق، فلما رضيت إحداهما بقطع الصبى، ورضيت الأخرى بدفعه إلى الثانية، بان عنده وظهر أن أم الصبى اختارت حياة ابنها . وكذلك بعث الله ملك الموت إلى موسى للابتلاء والاختبار.

وقد أخبرنا نبينا ﷺ أن الله تعالى لم يقبض نبيًا قط حتى يريه مقعده من الجنة ويخيره ، فلا يجوز أن يؤمر ملك الموت بقبض روحه قبل أن يريه مقعده من الجنة، وقبل أن يخيره، والله ولى التوفيق»[1].

---

(١) نقله ابن بطال في شرحه صحيح البخاري (٣/ ٣٢٢- ٣٢٥).

- **ابن حبان (ت٣٥٤هـ) :**

بوّبَ ابن حبان لهذا الحديث بقوله : «ذكرُ خبرٍ شَنَّعَ به على منتحلي سنن المصطفى ﷺ من حُرِمَ التوفيقَ لإدراك معناه» ، ثم تعقّبه بقوله : «إن الله جل وعلا بعث رسول الله ﷺ معلِّمًا لخلقه ، فأنزله موضع الإبانة عن مراده، فبلغ ﷺ رسالته، وبيَّنَ عن آياته بألفاظٍ مجملةٍ ومفسَّرةٍ، عقلها عنه أصحابُه أو بعضُهم . وهذا الخبر من الأخبار التي يُدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق.

وذاك أن الله جل وعلا أرسل ملك الموت إلى موسى رسالةَ ابتلاءٍ واختبار، وأمره أن يقول له: أجب ربك، أَمْرَ اختبارٍ وابتلاءٍ ، لا أمرًا يريد الله جل وعلا إمضاءه . كما أمر خليله (صلى الله على نبينا وعليه) بذبح ابنه أَمْرَ اختبارٍ وابتلاء، دون الأمر الذي أراد الله جل وعلا إمضاءه . فلما عزم على ذبح ابنه وتَلَّهُ للجبين ، فداه بالذبح العظيم .

وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها ، كدخول الملائكة على رسوله إبراهيم، ولم يعرفهم ، حتى أوجس منهم خيفة . وكمجيء جبريل إلى رسول الله ﷺ، وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام ، فلم يعرفه المصطفى ﷺ حتى وَلَّى.

فكان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها، وكان موسى غيورا ، فرأى في داره رجلا لم يعرفه ، فشال يده فلطمه ، فأتت لطمته على فقء عينه ، في الصورة التي يتصور بها ، لا الصورة التي خلقه الله عليها .

ولما كان المصرَّحُ عن نبينا ﷺ في خبر ابن عباس، حيث قال: «أمني جبريل عند البيت مرتين» ، فذكر الخبر ، وقال في آخره: «هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك» : كان في هذا الخبر البيان الواضح أن بعض شرائعنا قد تتفق ببعض شرائع من قبلنا من الأمم. ولما كان من شريعتنا

أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه أو الناظر إلى بيته بغير أمره جناح على فاعله ، ولا حرج على مرتكبه ، للأخبار الجمة الواردة فيه ، التي أمليناها في غير موضع من كتبنا = كان جائزا اتفاق هذه الشريعة بشريعة موسى ، بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه ، فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحًا له ، ولا حرج عليه في فعله.

فلما رجع ملك الموت إلى ربه، وأخبره بما كان من موسى عليه السلام فيه، أمره ثانيا بأمر آخر ، أمر اختبار وابتلاء (كما ذكرنا قبل)؛ إذ قال الله له: قل له: إن شئت فضع يدك على متن ثور ، فلك بكل ما غَطّت يدُك بكل شعرة سنة . فلما علم موسى كليم الله (صلى الله على نبينا وعليه) أنه ملك الموت ، وأنه جاءه بالرسالة من عند الله، طابت نفسه بالموت، ولم يَسْتَمْهِل، وقال: فالآن.

فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به .

ضَدَّ قول من زعم : "أن أصحاب الحديث حمالةُ الحطب، ورُعاة الليل، يجمعون ما لا ينتفعون به، ويروون ما لا يؤجرون عليه، ويقولون بما يُبطله الإسلام"، جهلا منه بمعاني الأخبار ، وتَرْكَ التفقه في الآثار ، معتمدًا منه على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس»[1].

ثم عقد ابن حبان بابا آخر ، قال في عنوانه : «ذكر لفظةٍ توهم عالَـمًا من الناس أن التأويل الذي تأولناه لهذا الخبر مدخولٌ» ، ثم أورد الحديث بلفظ : «جاء ملك الموت إلى موسى ليقبض روحه، فقال له: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ، ففقأ عينه ...»، ثم قال ابن حبان : «هذه اللفظة : "أجب ربك": قد توهم من لم يَتبحَّر في العلم أن التأويل الذي قلناه للخبر مدخول. وذلك في قول ملك الموت لموسى "أجب ربك" بيانٌ أنه عرفه . وليس كذلك؛ لأن

(١) المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع لابن حبان (٤/ ٧٥- ٧٦رقم ٣٠٦٦).

موسى عليه السلام لما شال يده ولطمه قال له: "أجب ربك"، توهم موسى أنه يتعوَّذُ بهذه اللفظة ، دون أن يكون رسولَ الله إليه، فكان قوله: "أجب ربك" الكشفَ عن قَصْدِ البداية في نفس الابتلاءِ والاختبارِ الذي أريد منه»[1].

- **الخطابي (ت٣٨٨هـ) :**

قال الخطابي في (أعلام الحديث شرح صحيح البخاري) : «هذا حديث يطعن فيه الملحدون وأهل الزيغ والبدع ويغمزون به في رواته ونقلته ، ويقولون: كيف يجوز أن يفعل نبي الله موسى هذا الصنيع بملك من ملائكة الله ، جاءه بأمر من أمره ، فيستعصي عليه ، ولا يأتمر له؟! وكيف تصل يده إلى الملك ويَخلُص إليه صكُّه ولطمُه؟ وكيف يُنَهْنِهُهُ المَلَكُ المأمورُ بقبض روحه ، فلا يُمضي أمر الله فيه؟! هذه أمورٌ خارجةٌ عن المعقول، سالكةٌ طريق الاستحالة من كل وجه.

والجواب: أن من اعتبر هذه الأمور بما جرى به عرفُ البشر واستمرت عليه عادات طباعهم : فإنه يسرع إلى استنكارها والارتياب بها ؛ لخروجها عن رُسُوم طباع البشر وعن سَنَنِ عاداتهم . إلا أنه أمرٌ مصدره عن قدرة الله عز وجل الذي لا يُعجزه شيءٌ ولا يتعذَّر عليه أمر، وإنما هو مجاوبةٌ بين ملَكٍ كريمٍ ونبيٍّ كليم، وكل واحد منهما مخصوصٌ لصفة خرج بها عن حكم عوام البشر ومجاري عاداتهم ، في المعنى الذي خُصّ من أَثَـرَةِ الله واختصاصه إياه. فالمطالبة بالتسوية بيننا وبينهم فيما تنازعناه من هذا الشأن ، حتى يكون ذلك على أحكام طباع الآدميين ، وقياسِ أحوالهم : غيرُ واجبةٍ في حق النظر . ولله عز وجل لطائفُ وخصائص يخص بها من يشاء من أنبيائه وأوليائه ، ويُفردهم بحكمها دون سائر خلقه . وقد أعطى موسى النبوة، واصطفاه

---

(١) المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع لابن حبان (٤/ ٧٧رقم ٣٠٦٧).

بمناجاته وكلامه، وأمدّه حين أرسله إلى فرعون بالمعجزات الباهرة : كالعصا، واليد البيضاء، وسَخَّر له البحر فصار طريقا يبسا، جاز عليه قومُه وأولياؤه ، وغرق فيه خصمه وأعداؤه، وهذه أمور أكرمه الله بها ، وأفرده بالاختصاص فيها أيام حياته ومدة بقائه في دار الدنيا . ثم إنه لما دنا حين وفاته -وهو بشر يكره الموت طبعا ويجد ألمه حِسًّا- لطف له بأن لم يفاجئه به بغتة، ولم يأمر الملك الموكل به أن يأخذه قهرا وقسرا، لكن أرسله إليه منذرا بالموت، وأمره بالتعرض له على سبيل الامتحان في صورة بشر . فلما رآه موسى استنكر شأنه ، واستوعر مكانه، فاحتجز منه ، دفعًا عن نفسه ، بما كان من صَكِّه إياه . فأتى ذلك على عينه التي رُكّبت في الصورة البشرية التي جاء فيها ، دون الصورة الملكية التي هي مجبولُ الخِلقة عليها . ومثل هذه الأمور مما يُعلَّلُ به طباعُ البشر ، وتَطِيبُ به نفوسُهم في المكروه الذي هو واقع بهم ؛ فإنه لا شيء أشفى للنفس من الانتقام ممن يكيدها فيريدها بسوء . وقد كان من طبع موسى عليه السلام ، فيما دل عليه آي من القرآن حِمًا وحِدَّة ، وقد قص علينا الكتاب ما كان من وكزه القبطي الذي قضى عليه، وما كان عند غضبه من إلقائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجره إليه، وروي أنه كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا . وقد جرت سنة الدين بحفظ النفس، ودفع الضرر والضيم عنها . ومن شريعة نبينا ﷺ ما سنه فيمن اطلع على محرم قوم من عقوبته في عينه ، فقال: "من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ، فقد حل لهم أن يفقأوا عينه"[1]، ولما نظر نبي الله موسى (عليه السلام) إلى صورة بشرية هجمت عليه من غير إذن، يريد نَفْسَه ، ويقصد هلاكه ، وهو لا يُثبته معرفةً ، ولا يستيقن أنه ملك الموت ورسولُ رب العالمين فيما يراوده منه = عمَد إلى دفعه عن نفسه بيده وبطشه، فكان ذلك ذهاب عينه .

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٩٠٢، ٦٨٨٨)، ومسلم (رقم ٢١٥٨)، بلفظ : «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ، فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه».

وقد امتُحن غيرُ واحد من الأنبياء (صلوات الله عليهم) بدخول الملائكة عليهم في صورة البشر : كدخول الملكين على داود في صورة الخصمين؛ لِمَا أراد الله عز وجل من تعريفه إياه بذنبه وتنبيهه على من لم يرضه من فعله[1]. وكدخولهم على إبراهيم (عليه السلام)، حين أرادوا إهلاك قوم لوط، فقال: ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، وقال: ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾. وكان نبينا ﷺ أول ما بدئ بالوحي يأتيه الملك فيلتبس عليه أمره، ولما جاءه جبريل (عليه السلام) في صورة رجل فسأله عن الإيمان لم يُثبته، فلما انصرف عنه تبين أمرُه فقال: "هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم".

فكذلك كان أمر موسى (عليه السلام)، فيما جرى من مناوشته ملك الموت، وهو يراه بشرا . فلما عاد الملك إلى ربه عز وجل مستثبتا أمره فيما جرى عليه ، رد الله عز وجل عليه عينه، و أعاده رسولا إليه بالقول المذكور في الخبر الذي رويناه ، ليعلم نبي الله ﷺ إذا رأى صحةَ عينه المفقوءة وعودةَ بصره الذاهب : أنه رسول الله ، بعثه لقبض روحه . فاستسلم حينئذٍ لأمره ، وطاب نفسًا بقضائه . وكل ذلك رِفْقٌ من الله عز وجل به ، ولطفٌ منه ، في تسهيل ما لم يكن بُدٌّ من لقائه ، والانقياد لمورد قضائه»[2].

---

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

(٢) أعلام الحديث للخطابي (١/ ٦٩٦- ٧٠٠).

- **أبو بكر ابن فُورَكْ الأشعري (ت٤٠٦هـ) :**

قال ابن فورك في (مشكل الأحاديث : تأويل الأخبار المتشابهة) : «اعلم أن أهل النقل قد صححوا هذا الحديث ، وله تأويل صحيح لا يُنكر .

وذلك أن الله عز وجل قد جعل للملائكة أن تتصوَّر بما شاءت من الصور المختلفة ، ألا ترى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي ، ومرة في صورة أعرابي ، ومرة أخرى وقد سدَّ بجناحيه ما بين الأفق ، وكذلك قال الله ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾. قال بعض أهل التأويل : إن ﴿تَقِيًّا﴾ اسمُ رجلٍ تَصوَّر جبريلُ بصورته لمريم عليها السلام .

فإن قالوا : فكيف ساغ لنبي أن يلطم عينَ مَلَكٍ ، وإن كان على صورة أخرى ؟!

قيل : قد قال بعضُ أصحابنا فيه : إن ما ينتقل فيه من هذه الأمثلة تخييلاتٌ ، وأن اللطمة أذهبت العين التي هي تخييلٌ ، وليست بحقيقة .

ومنهم من قال : إن معنى قوله "لطم موسى عليه السلام عين ملك الموت": تَوَسُّعٌ في الكلام ، وهو نحو ما يُحكَى عن علي رضي الله عنه أنه قال : "أنا فقأت عين الفتنة". يريد بذلك : إلزامُ موسى عليه السلام الحجةَ ملكَ الموت ، حين رادّه في قبض روحه ، على حسب ما رُوي في الخبر .

واعلم أن للعرب في نحو ذلك استعارات ، يعرف معانيها ومجاري خطابها فيها المتوسِّعُ في استقراء كلامهم ، والمتبحِّرُ في المعرفة بلغاتهم . وإذا كانت اللفظةُ مستعملةً عندهم على أمرين :

أحدهما : أن يُراد به عينُ الجارحة ، وإدخالُ النقص فيها .

والثاني : أن يُراد به عينُ الشيء وذاته ، ويُراد بالعَوَرِ مَحْقُه ومَحْوُهُ : لم يُنكَر أن يكون معنى هذا الكلام محمولًا عليه ، على نوعٍ من التوسع .

وقد يقول القائل : عَوَّرْتُ عين هذا الأمر ، إذا رَدّه ، تشبيها لمن أدخل نقصًا على العين التي هي حدقة .

ولو قال قائل : إن ذلك إن كان حقيقةً من موسى عليه السلام، وكان إدخال نقصٍ على جارحة الملك بإذن الله عز وجل ، حتى يكون محنةً للملطوم ، وعبادة للاطم = لم يكن ذلك منكرا تدفعه العقول ؛ لأن لله عز وجل أن يأمر بما يشاء من ذلك ، ويأذن فيما يشاء منه ، على أن ما قلنا أولا : له وجهٌ في الكلام ، يصح فيه المعنى على طريق الاستعارة والتوسع في الخطاب على عادة العرب . وإذا كان كذلك : لم يكن لما توهمه الزائغ عن الحق معنى ، وبطل تَوَهُّمُه الطعنَ بذلك على أنبياء الله صلوات الله عليهم»[1].

- **أبو يعلى الفرّاء الحنبلي (ت٤٥٨هـ) :**

قال أبو يعلى في (إبطال التأويلات) : « اعلم أن هَذَا حديث صحيح، يُحمل عَلَى ظاهره، وأن ذلك الفعل كان من مُوسَى عَلَى الحقيقة، وأنه إدخالُ نقصٍ عَلَى جارحة الملك ، ليكون محنةً للملطوم ، إباحةً للاطم : بأَنْ يَكُونَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أباحه ذلك ؛ لأَنَّ لله تَعَالَى أن يأمر بما يشاء من ذلك، ويأذن فيما شاء مِنْهُ .

---

(١) مشكل الحديث لابن فورك – تحقيق : دانيال جيماريه – (١٧٥-١٧٧رقم ٨٠).

وقد قال أحمد في رواية ابن منصور ومُهنَّى: الحديث صحيح . وقال في رواية ابن القاسم: "نحن نُقِرُّ به ونصدقه على ما جاء في الأحاديث، وإنما يتكلم في هذا ويدفعه أهل الزيغ".

فقد نص أحمد على صحته والأخذ بظاهره، والوجه فيه ما ذكرناه .

وقد أنكر قوم من أهل الإلحاد هذا، وقالوا: إن جاز على ملك الموت العور : جاز عليه العمى، وقالوا: لعل عيسى قد لطم عينه الأخرى فأعماه ؛ لأنه كان أشدَّ كراهية للموت من موسى، وذلك أنه قال: "اللهم إن كنت صارفًا هذه الكأس عن أحد ، فاصرفها عني".

قيل: هذا غلط، لأنه ما كان يمتنع مثل ذلك في حق عيسى ، لو وُجد .

وقد أثبته قوم من المسلمين ، وتأولوه على وجهين:

أحدهما: أن الله جعل للملائكة أن تتصور بما شاءت من الصور المختلفة، ألا ترى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي، ومرة في صورة أعرابي، ومرة أخرى وقد سد بجناحيه ما بين الأفق، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾، قيل: إن جبريل تصور بصورة رجل، وهذه الصورة التي يتنقل إليها تخيلات ليست حقيقة، فاللطمة أذهبت بالعين التي هي تخيل وليست حقيقة .

والثاني: أن معنى اللطمة: إلزام موسى لملك الموت الحجة ، حين رادَّه في قبض روحه، على حسب ما رُويَ في الخبر، وهذا مستعمل في كلام العرب . ومنه ما يُحكى عن علي (كرم الله وجهه) أنه قال: "أنا فقأت عين الفتنة"، يريد بذلك إلزام الحجة ، ومنه قولهم: عورت عين الأمر ، بضرب من التوسع .

قيل: هذا غلط !

أما الأول: فلأن في الخبر: " أنه عرج إلى ربه فرد عليه عينه " ، ولا يكون هذا إلا في عين هي حقيقة، لأن التخيل لا يحتاج إلى رده .

وأما الثاني: فإن معنى اللطمة إلزام الحجة فلا يصح لوجهين:

- أحدهما: أنه لو كان المراد به الحجة لم يخص العين، لأن الحجة لا تختص العين ، وإنما تلزم الجملة .
- والثاني: أنه لو كان قد ألزمه الحجة، لم يعد إلى قبض روحه، لأن الحجة قد لزمته في ترك قبض روحه، فلما عاد لقبض روحه، امتنع أن تكون اللطمة بمعنى إلزام الحجة»[1].

- **المازَري (ت٥٣٦هـ) :**

قال المازري في (المعلم بفوائد مسلم) : «ولأصحابنا عن هذا ثلاثة أجوبة قال بعضهم: إن المَلَك يتصوّر في أيّ الصوّر شاء مما يقدره الله عَزّ وجلّ عليها، وقد قال الله سبحانه ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾. وقيل إنّه تمثّل لها بصورة رجلٍ يسَمَّى ﴿تَقِيًّا﴾، وَلِهَذَا ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾. وقد تَمَثَل جِبرِيل عَليه السلام بصورة دِحيَة. وقال أصحاب هذه الطريقة: إن هذه الصوّر قَد تكون تخيّلا ، فَيَكون موسَى عليه السّلام فَقَأ عَينًا متَخَيَّلَةً لا عينًا حَقِيقَةً .

(١) إبطال التأويلات لأبي يعلى الفراء – تحقيق : محمد بن حمد الحمود النجدي – (٢/ ٤٣٩- ٤٤٠رقم ٤٠٩).

وهذا الجواب عندي قد لا يقنِعهم ، وقد يقولون: إن علم أنّه مَلَك وأنّ ذَلِك تَخَيّل فكيف يَصكّه ويقابله بهذه المقابلة، وهذا لا يليق بالنّبي[١].

وقال آخرون من أصحابنا: الحديث فيه تجوّز ، وإذا حُمل عليه اندفع طعن الملحدة . ومحمله عندنا على أنّ موسى عليه السّلام حاجَّه وَأوضَحَ الحجّة لَديه ، وقد يقال في مثل هذا: فَقَأ فلان عَين فلان إذا غَلَبَه بالحجة ، ويَقال: عوّرت هذا الأمر : بمعنى أدخلت نَقصًا فيه . فإذا صُرِف ذلك إلى غلبة موسى عليه السلام بالحجة : سَقَط الاعتراض.

وهذا أيضا قد يبعد عن ظاهر هذا اللّفظ لقوله ﷺ : "فَرَدَّ الله إليه عينَه". وإن قالوا: معناه ردّ الله إليه حجّته ، كان بعيدا عن مقتضى سياق اللّفظ.

وجواب ثالث ، مال إليه بعض أيمتنا من المتكلّمين ، وهو أمثل ما قالوه فيه : وهو أنّه لا يبعد أن يكون موسى (صلىّ الله على نبينا وعليه وسلّم) أذِنَ الله لَه في هذه اللّطمة محنة للملطوم ، وهو سبحانه يَتَعَبَّد خَلقَه بما شاء ، ولا أحد من عباده تقنعه فضيلته من أن يتصرف بحكم التكليف ، فيما ساء وسر ، ونفع وضر . فإذا سلمنا لهم حقيقة الحديث ، وحملناه على هذه الطريقة، لم يبق لهم تعلق[٢].

ويظهر لي جواب رابع[٣] : وهو أن يكون موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من قبل الله عز وجل ، وظن أنه رجل أتاه يريد نفسه ، فدافعه عنها مدافعة أدت إلى فقوء عينه. وهذا سائغ

(١) أصحاب هذه المقالة لم يقولوا بأن موسى عليه السلام عرف ملك الموت ، حتى يورد المازري عليهم هذا الاعتراض . فهم جمعوا بين هذا الاحتمال ، وأن موسى عليه السلام لم يعرفه .

(٢) هذه الأجوبة الثلاثة هي أجوبة ابن فورك ، فيبدو أنه هو مصدر الإمام المازري في ذكرها .

(٣) سبق المازَريَّ إلى هذا الجواب : أبو بكر ابن خزيمة ، كما سبق .

في شريعتنا : أن يدافع الإنسان عن نفسه من أراد قتله ، وإن أدى إلى قتل المطالِب له ، فضلا عن فقوء عينه. وقد قدمنا في كتاب مسلم إباحته ﷺ فقوء عين من اطلع على قوم ، وأنه حلال لهم فقوء عينه إذا اطلع عليهم بغير إذنهم ، على ما تقدم ومضى الحديث فيه ، فكيف بهذا ؟!

وإنما يبقى على هذا الجواب أن يقال: فقد رجع إليه ثانية ، واستسلم موسى إليه ، فدل على معرفته به ؟ قلنا : قد يكون أتاه في الثانية بآية وعلامة علم بها أنه ملك الموت ، وأنه من قبل الله عز وجل ، فاستسلم لأمر الله . ولم يأته أولا بآية يعرفه بها ، فكان منه ما كان .

وأحسن ما اعتُمد عليه في المسألة هذا الجواب الذي ظهر لنا ، أو الجواب الثالث الذي ذكرناه عن بعض أيمتنا .

وعندي أن جوابنا أرجح منه»[1].

- **ابن هبيرة الحنبلي (ت٥٦٠هـ) :**

قال ابن هبيرة في (الإفصاح عن معاني الصحاح : وهو شرح للجمع بين الصحيحين للحميدي) : «هذا الحديث قد ذكر فيه على بن عقيل كلامًا لم أرضه له، ولم أرضه لنفسي أن أترك الرد عليه، فإنه قال فيه قولًا يشير به إلى تخطئة موسى، وإلى خطأ ملك الموت، كيف لم يطرح موسى ميتًا، ولا يعود إلى ربه شاكيًا؟ ثم خلط القول إلى داخل التدبير الإلهي برأيه القليل، وسبب ذلك أنه ضاقت فطنته عن فهم الحديث، فحمله على أفظع محمل؛ فلم يكن في هذا

(١) المعلم (٣/ ٢٣٠- ٢٣٣).

الحديث من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، على كونه كان في كثير من المسائل ذا فطنة وبلاغة وأقوال صالحة.

وإنما وجه الحديث عندي : أن موسى عليه السلام كان من الدنيا في دار عبادة وخدمة ، فجاء ملك الموت لينقله إلى دار راحة ونعمة ، فكره أن يراه الله تعالى مسرعًا إلى الخلاص من خدمة ربه، وحمل أعباء الأثقال من مدارة خلقه، طالبًا تعجيل الراحة بالتنعم في دار الخلد بالعطايا السنية، فلطم ملك الموت . فعاد ملك الموت عليه السلام في صورة شاكٍ، فقيل له: يضع يده على متن ثور، فله بكل شعرة سنة، فلو كان موسى عليه السلام إنما فَرِقَ من الموت : لقبل ما أنعم به عليه من كثرة السنين ، ولكنه قال: من الآن ، وأراد أن موافقتي لاختيار ربي خير من موافقتي لاختيار نفسي .

فأما فقؤه لعينه لـمّا أظهر من إيثاره كُلَفَ الخِدمة على راحة النعمة، أنه يُـخْجِلُ الملَكَ حتى لم يبق له عينٌ ينظره بها، فكان على معنى ما يقول الرجل إذا اشتد خجله: "ما لي عين أنظرك بها"، ويجوز أن يكون على وجهه»[1].

- **ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) :**

قال ابن الجوزي في (كشف المشكل من حديث الصحيحين) : «وقد اعترض بعض الملحدين على هذا الحديث بأربعة أشياء:

أحدها: كيف يقدر الآدمي أن يفقأ عين ملك الموت، فليس الملك بجسم كثيف؟

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (٦/ ٣٢٨- ٣٢٩).

والثاني: كيف جاز لموسى أن يفعل ذلك برسول ربه ، وفي طي هذا مراغمة المرسِل؟

والثالث: أين شوق موسى إلى لقاء الله تعالى؟

والرابع: كيف خالف الملك مُرْسِلَه ، فعاد ولم يقبض نفسه؟

فالجواب:

لما أكرم الله عز وجل موسى بكلامه ومحبته إياه ، بعث إليه الملك في صورة رجل ليتلطف في قبض روحه، فصادفه بشرا يكره الموت طبعًا لما يعلم من ملاقاة مشاقه، فدفعه عن نفسه، وهو لا يعلم أنه ملك الموت . وقد يخفى الملك على النبي إذا جاء في صورة البشر كما خفيت الملائكة على إبراهيم ولوط، وخفي جبريل على نبينا لما جاءه في صورة رجل فسأله عن الإسلام والإيمان...

(إلى أن قال) فعلى هذا نقول: دفعه موسى ولم يعرفه، فصادفت تلك الدفعة عينة المركبة في الصورة البشرية ، لا العين الملَكِيّة، فلما ذهب ملك الموت عاد وقد رُدّت عينه، فتبين موسى أنه الملك ، فاستسلم لقضاء الله سبحانه.

وقال ابن عقيل: يجوز أن يكون موسى قد أذن له في ذلك الفعل بملك الموت ، وابتلي ملك الموت بالصبر عليه، كقصة الخضر مع موسى.

فأما الشوق إلى لقاء الله سبحانه : فإنه لا يناقض كراهية الموت على ما سيأتي في مسند عائشة عند قوله: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" .

وأما عَوْدُ الملك : فإنه أُمِرَ بالتلطف في القبض، ولم يُجزم له الأمرُ بالقبض في وقت معروف»[1].

- **أبو العباس القرطبي (ت٦٥٦هـ) :**

قال أبو العباس القرطبي في (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) : «وقد اختلفت أقوال علمائنا في تأويل هذا الحديث :

- فقال بعضهم: كانت عينا متخيلة لا حقيقية.

- ومنهم من قال: هي عين معنوية. وإنما فقأها بالحجة .

وهذان القولان لا يُلتفت إليهما ؛ لظهور فسادهما، وخصوصا الأول، فإنه يؤدي إلى: أن ما يراه الأنبياء من صور الملائكة لا حقيقة له، وهو قول باطل بالنصوص المنقولة، والأدلة المعقولة.

- ومنهم من قال: كان ذلك ابتلاء وامتحانا لملك الموت، فإن الله تعالى يمتحن خلقه بما شاء.

وهذا ليس بجواب، فإنه إنما وقع الإشكال في صدور سبب هذا الامتحان من موسى، وكيف يجوز وقوع مثل هذا؟

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/ ٤٤٤- ٤٤٥).

- وأشبه ما قيل فيه: ما قاله الشيخ الإمام أبو بكر بن خزيمة، وهو أن موسى ـ عليه السلام ـ لم يعرف ملك الموت، وأنه رأى رجلا دخل منزله بغير إذنه يريد نفسه، فدافع عن نفسه، فلطم عينه، ففقأها. وتجب المدافعة في مثل هذا بكل ممكن.

وهذا وجه حسن، غير أن هذا اعْتُرِضَ عليه بما في الحديث، وهو أن ملك الموت لما رجع إلى الله قال: يا رب! أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فلو لم يعرفه موسى – وإنما دفعه عن نفسه– لما صَدَقَ هذا القولُ من ملك الموت.

- قلت: وقد أظهر لي ذو الطول والإفضال وجها حسنا يحسم مادة الإشكال، وهو أن موسى عرف ملك الموت، وأنه جاء ليقبض روحه، لكنه جاء مجيء الجازم بأنه قد أُمر بقبض روحه من غير تخيير، وعند موسى ما قد نص عليه نبينا ﷺ من: أن الله تعالى لا يقبض روح نبي حتى يخيره[1]، فلما جاءه على غير الوجه الذي أعلم به، بادر بشهامته، وقوة نفسه : إلى أدب ملك الموت، فلطمه فانفقأت عينه امتحانا لملك الموت، إذ لم يصرح له بالتخيير . ومما يدل على صحة هذا: أنه لما رجع إليه ملك الموت، فخيره بين الحياة والموت، اختار الموت واستسلم، وهذا الوجه – إن شاء الله – أحسن ما قيل فيه وأسلم»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٤٤٣٥ ٤٤٤٠، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦ ٥٦٧٤، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩)، ومسلم (رقم ٢٤٤٤)، من حديث عائشة ﵂ قالت :كان رسول الله ﷺ يقول : «إنه لم يُقبض نبيٌّ قط ، حتى يُرى مقعده من الجنة ، ثم يُخيّر».

(٢) المفهم للقرطبي (٦/ ٢٢١).

- **الإمام النووي (ت٦٧٦هـ):**

لم يُضف الإمام النووي شيئًا على ما ذكره ابن خزيمة والمازري والقاضي عياض[١].

- **الحسين بن محمود الـمُظْهِري (ت٧٢٧هـ) :**

قال المُظهري في (المفاتيح في شرح المصابيح): «الملائكة يتصورون تصور الإنسان، وتلك الصور بالنسبة إليهم كالملابس بالنسبة إلى الإنسان. واللطمة أثرت في العين الصورية ، لا في العين الملكية، فإنها غير متأثرة باللطمة وغيرها .

وإنما لطمها موسى – صلوات الله عليه – من حيث إن الأنبياء – صلوات الله عليهم – كانوا مخيرين من عند الله سبحانه آخرَ الأمر بأحد الشيئين، إما الحياة وإما الوفاة، فأقدم ملك الموت على قبض روحه – صلوات الله عليهما – قبل التخيير؛ فلهذا سبقت منه هذه اللطمة.

وقيل: كره الموت كراهية شديدة بحيث لو أمكنه لطمه وفقأ عينه لفعل؛ لأن إجراءه على الظاهر وهو في صورته الملكية لا يمكن، وعلى صورته المتشكل هو بها لا يجيزه النبي المعصوم.

إن قيل: ما الحكمة في أن موسى عليه السلام أعمى عين ملك الموت، ولم يعده ذنبا، مع أنه مرسل من عنده تعالى، والله سبحانه ما عاتب عليه، بل قال: "ارجع إلى عبدي" الحديث، تمهيدا لعذره، وإذا قتل قبطيا كافرا ندم على ذلك وتاب، وقال: "تبت يا رب، إني ظلمت نفسي"؟ قيل: لأنه قتل القبطي قبل أن يشرف بتشريف الرسالة والمكالمة، وأما إعماء عين ملك الموت بعد أن

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ١٢٩).

شرف بخِلْعَةِ الرسالة والمكالمة والكرامة، فلهذا ما عُوتب ، بل عذر؛ ولأن عينه الصورية حكمها حكم لباسه، كما ذُكر قبل، فما صار مُلِيمًا بفقئها»[1].

- **الطِّيبي (ت٧٤٧هـ) :**

ذكر الطيبي في شرحه على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) : ملخص كلام المازري والقاضي عياض ، وختمه بكلام الخطابي[2].

- **العراقيان زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ) وابنه وليُّ الدين أبو زُرعة أحمد (ت٨٢٦هـ) :**

وذكر كلام المازري والقاضي عياض ، وختم كلامهما بقوله : «والوجه الذي ذكره المازري أنه ظهر له وحسنه هو حسن وهو تأويل أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين».

ثم ذكر كلام أبي العباس القرطبي أيضًا .

ثم قال : « فإن قلت إذا كان أجل موسى – عليه السلام – قد حضر فكيف تأخر مدة هذه المراجعة وإن كان لم يحضر فكيف جاء الملك ليقبض روحه قبل حضوره، وقد قال الله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؟

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (٦/ ٦٥- ٦٦).

(٢) شرح المشكاة للطيبي (١١/ ٣٦١٣- ٣٦١٤).

قلت : لم يكن أجل موسى قد حضر ، ولم يُبعث إليه ملك الموت ليقبض روحه، وإنما بعث إليه اختبارا وابتلاء ، كما أمر الله تعالى خليله إبراهيم بذبح ابنه ، ولم يرد عز وجل إمضاء الفعل ، ففداه بذبح عظيم . ولو أراد الله تعالى قبض روح موسى حين لطم ملك الموت : لكان ما أراد ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وقد أجاب بما ذكرته الإمام أبو بكر بن خزيمة ، وهو حسن»[1].

- **ابن الوزير – محمد بن إبراهيم بن علي– اليماني (ت٨٤٠هـ) :**

قال ابن الوزير في (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم) : «وعن هذا الحديث جوابان: معارضة ، وتحقيق.

أما المعارضة: فإنه قد ورد في القرآن العظيم أن موسى أخذ برأس أخيه (عليهما السلام) يجره إليه ، وذلك من غير ذنب علمه من أخيه ، ولا دفع مضرة خافها منه ، وأخوه هارون نبي كريم بنص القرآن وإجماع المسلمين ، وحرمة الأنبياء مثل حرمة الملائكة ، وقد بطش موسى بهارون بطشا شديدا ، ولهذا قال هارون متلطفا ومستعطفا له: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾، فإن كان المعترض يكذب القرآن ، فذلك حسبه من الكفران ، وإن كان يتأول أفعال الأنبياء (عليهم السلام) على ما يليق حسب الإمكان ، ويرجع فيما لم يمكن تأويله إلى الإيمان؛ فما باله لا يفعل مثل ذلك في الأحاديث الصحيحة والسنن

(١) طرح التثريب – طبعة دار ابن الجوزي – (٣/ ٤٣٥– ٤٣٨).

المأثورة؟ وما له والتقحم في المهالك ، والميل إلى متوعرات المسالك ، والقطع بتكذيب الرواة ، والمتابعة لبادىء رأيه وهواه؟

فإن قال: إن موسى (عليه السلام) إنما فعل ذلك غضبا لله تعالى ؛ لأنه ظن أن هارون قصر في النهي عما فعل قومه من عبادة العجل ومجاوزته للحد في الغضب ؛ لأجل مجاوزة فعلهم للحد في القبح ، ولما بقي عليه من طبيعة البشر في الغضب ، وقد ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ : "اللهم إني بشر آسف كما يأسف البشر" فكذلك موسى (عليه السلام).

قلنا: هذا كلام صحيح ، ولكن يجب أن نتطلّب لما ورد في السنة وجها حسنا أيضا ، كما تَطلّبنا مثل ذلك لما ورد في القرآن العظيم .

فنقول (وهو التحقيق) : إن ذلك يحتمل وجهين:

الوجه الأول : وهو المعتمد أن يكون الملك أتاه على صورة رجل من البشر ، ولم يعرف أنه ملك ، مثل ما أتى جبريل (عليه السلام) إلى مريم البتول (رضي الله عنها)، ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، ففزعت منه ، فقالت : ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ . ولو علمت أنه جبريل الأمين لما استعاذت منه . فلما أتى ملك الموت إلى موسى على هذه الصفة ، وأراد أن يقتله دفع موسى عن نفسه.

فإن قلت : أليس في الحديث أن ملك الموت لما رجع إلى الله تعالى ، قال: يا رب أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، وهذا يدل على أنه قد أخبره أنه ملك الموت ، وأنه جاء لقبضه.

والجواب: أن هذا لا يدل على معرفة موسى لملك الموت ، لأن معرفة ملك الموت لكراهة موسى للموت لا تستلزم معرفة موسى للملك بنص ولا مفهوم ، ولا معقول ولا مسموع . ولو أن الملك جاء على صورة البشر وادعى أنه ملك ، ولم يظهر لموسى ما يدل على صدقه ، ولا

خلق الله فيه علما ضروريا بذلك ، لم يكن لموسى أن يصدقه في ذلك ، وإلا جاز أن يدعي بعض شياطين الجن أو الإنس مثل ذلك على الأنبياء (عليهم السلام) ويجوز عليهم ، وهذا ما لا يجوز أبدا.

ويدل على ما ذكرناه من عدم معرفة موسى للملك: أنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن الله تعالى لا يقبض نبيا حتى يخيره ، فلما جاء ملك الموت لقبض روح موسى من غير تخيير ، أمكن أن يكون موسى قد علم أنه لا يقبض حتى يخير ، فشك في صدقه لذلك . والذي يدل على هذا دلالة ظاهرة ، أنه قد ورد في هذا الحديث بعينه أن ملك الموت لما رجع إلى موسى (عليه السلام) وخيره بين الحياة والموت اختار الموت واستسلم .

ويؤيد هذا : أن الله تعالى لو أراد موته في المرة الأولى ، وتسليط الملك عليه : لنفذ مراد الله فيه ، ولم يقدر على دفع ملك الموت . ولكن الله تعالى أراد الذي كان منه لحكمة بالغة ، وليعلم من يثبت إيمانه ، ومن يستحوذ عليه شيطانه ، كما قال تعالى في تحويل القبلة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾. وبمثل هذه الأمور يميز الله الخبيث من الطيب ، والمؤمن من المتريب . نسأل الله أن يثبت قلوبنا على الإيمان ، ويعصمنا من وساوس الشيطان.

الوجه الثاني: أن نقول: سلمنا أن الملك جاء إلى موسى (عليهما السلام) على صورة يعرفه عليها ، ولكن ما المانع أن يكون موسى فعل ذلك وقد تغير عقله ، فإن تلك الحال مظنة لتغير العقول ، فقد خر موسى صعقا لأجل اندكاك الطور ، فكيف بهول المطلع ، فإنه عند العلماء بجلال الله (سبحانه وتعالى) أعظم وأجل من اندكاك الجبل ، وهذا الاحتمال ايضا يمكن فيه حالان:

أحدهما: أن يكون الملك أتاه وقد تغير عقله من غمرات الألم ، وسكرات النزع.

وثانيهما: أن يكون جاءه وهو صحيح غير أليم ، وإنما تغير عقله حين أخبره بأزوف الرحلة من دار العمل ، وانقطاع المهلة والأمل ، وذلك لأن أمل الأنبياء (عليهم السلام) عظيم في الترقي في مراتب الخدمة لله تعالى ، وبلوغ أقصى المراتب في ذلك ، والآخرة دار انقطاع من ذلك ، فارتاع موسى (عليه السلام) لذلك .

ويحتمل غير ذلك مما يحتاج إلى تأويل بعض ألفاظ الحديث فتركته اختصارا.

وأما ما ورد من أنه فقأ عين الملك فقال ابن قتيبة : "أذهب موسى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست على حقيقة خلقته ، وعاد ملك الموت إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان لم ينقص منه شيء".

والوجه في الحديث عندي : هو الأول ، وإنما ذكرت الوجه الثاني لبيان سعة المحامل لمن طلبها ، وتعريف المعترض ببطلان ما توهم من عدم إمكان تأويل هذا الحديث[1]»[2].

---

(١) نبه ابن الوزير بهذا الكلام الأخير إلى منهج في الجواب على الإشكالات : وهو ذكر كل جواب له وجاهة ، ولو كان غيره أقوى منه وأقل اعتراضًا عليه .

وهو منهجٌ بهذا التنبيه مقبول ، لا بغيره .

وهو خير ممن اعترض على بعض الأجوبة الوجيهة ، دون مراعاة اختلاف أفهام الناس وتبايُنِ مواطن قناعاتهم .

(٢) الروض الباسم لابن الوزير (٢/ ٤٧٦- ٤٨٠).

- **الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) :**

ذكر الحافظ ابن حجر ملخص كلام ابن خزيمة والخطابي والنووي[١].

***

الموازنة بين شرح الكلاباذي وشرح غيره

أولا : بعض الأفكار التي ذكرها الكلاباذي في الردّ على التشكيكات مما انفرد بذكرها ، ولم يستفده منه المتأخرون عنه .

ثانيا : عدَّ الكلاباذيُّ سببَ صَكِّ موسى عليه السلام ملكَ الموت عليه السلام وفَقْأَهُ عينه هو الغضبَ لله تعالى ، وليس الخوف من الموت ، وإنما كان غضب موسى عليه السلام من دعوى الملك أنه ملك الموت، ومن أنه جاء ليقبض روحه ، وقد جاءه على هيئة بشر ، وظنه رجلًا كاذبًا على الله تعالى مجترئًا عليه وعلى رسوله بالزور وإرادة العدوان .

واعتمد الكلاباذيُّ لترشيح هذا الجواب على مجيء ملك الموت بصورة آدمي ، لا تُظهر كونه ملكًا لله .

وتبنّى هذا الرأيَ ابنُ خزيمة وغيره ، وأيدوه من وجه آخر : وهو أن الأنبياء (عليهم الصلوات والتسليم) لا تُقبض أرواحهم حتى يُخيَّروا بين الحياة والموت ، فلما لم يخيّر ملكُ الموت عليه السلام موسى عليه السلام في مجيئه الأول ، تأكّد موسى عليه السلام من كذبه في دعواه بأنه ملك الموت . فلما جاءه بالتخيير في آخر الأمر ، عَلِمَ صِدْقَه ، وسلّم له أمره تسليمًا لأمر الله عز وجل الذي بعثه.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (شرح الحديث رقم ٣٤٠٧)

وجواب من جعل موسى عليه السلام إنما واجه ملك الموت بما واجهه به غضبًا لله تعالى أقوى ممن جعله خوفا من الموت ، ثم تعلّلوا لسبب الخوف بواحد مما يلي :

- إما مفارقة دار الزيادة في منازل الآخرة ، وذكر هذا المعنى ابن هبيرة .
- وإما مفارقة دار الدعوة والإصلاح وهداية الناس إلى الله تعالى ، وهو من السابق .
- وإما مفارقة الحياة والخوف الطبيعي من أهوال الموت وسكراته والانتقال من دار إلى دار لم يعهدها كما عهد الدار الدنيا ، وذكر هذا المعنى ابن الجوزي .

ثالثا : بعض الأفكار التي وافقه عليها غيره عبّر عنها هو بتعبيرات مختلفة تزيد الفكرة وضوحًا .

وقد سَبق الكلاباذيَّ بأن فعل موسى من باب الدفاع عن النفس تجاه من لم يعرفه بأنه ملك الموت : ابنُ خزيمة ، وهو قول ابن حبان والخطابي أيضًا . وظن المازري أنه سبق إلى هذا الجواب ، وهو مسبوق إليه ، ونص العراقي على مسبوقيته بابن خزيمة . وقد استحسنه القرطبي

رابعا : فاتته بعض الأفكار والردود :

١-فات الكلاباذي التأكيد على خصوصية الخبر من جهة تعلقه بأحوال الملائكة الذين لهم أحوال تخصهم لا تُحكَّم فيها أحكام حياتنا المادية ، وهو ما ذكره ابن قتيبة ، والخطابي ، وإن كان كلامه قد تضمن الإشارة إليها .

٢-وفات الكلاباذي التأكيد على خصوصية منزلة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، وأنهم رغم بشريتهم إلا أن الله قد خصهم بمنازل وخصائص ليست لبقية البشر ، مما يجعل رد الخبر المتعلّق بالنبي لمجرد مخالفته أحوال البشر ممن سواهم ردًّا غير عقلاني ، لمن أثبت لهم تلك الخصائص التي ترفعهم عن مستوى الإمكان المعتاد للبشر . وأحسن

من استوفى هذا الأمر وسابقه : الإمامُ الخطابي ، وبأبلغ عبارة ، وعنه أخذ المتأخرون عنه .

٣-وفات الكلاباذي أن يبيّن أن أمر الملك كان أمر ابتلاء ، كأمر إبراهيم بذبح ابنه . وذكره ابن خزيمة ، وابن حبان وغيرهما .

وأكد ابن الوزير هذا بقوله : «ويؤيد هذا : أن الله تعالى لو أراد موته في المرة الأولى ، وتسليط الملك عليه : لنفذ مراد الله فيه ، ولم يقدر على دفع ملك الموت . ولكن الله تعالى أراد الذي كان منه لحكمة بالغة ، وليعلم من يثبت إيمانه ، ومن يستحوذ عليه شيطانه ، كما قال تعالى في تحويل القبلة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾. وبمثل هذه الأمور يميز الله الخبيث من الطيب ، والمؤمن من المتريب . نسأل الله أن يثبت قلوبنا على الإيمان ، ويعصمنا من وساوس الشيطان».

٤-وفات الكلاباذي أن يستشهد لصحة فعل موسى (عليه السلام) بما ثبت في شريعتنا : من جواز فقوء عين المطلع على عورة دار بغير إذنهم .

٥-وفات الكلاباذي تأكيد الاستدلال لمسألة أساسية للرد على الشبهة ، وهي أن موسى عليه السلام لم يعرف ملك الموت في مجيئه الأول ، فمع أنه ذكرها واستدل لها ، لكنه فوّتَ أدلة قرآنية عديدة على مثيلاتها . وهو ما استوفاه ابن خزيمة

٦-وفات الكلاباذي الجواب عن لفظة وردت في بعض طرق الحديث توهم أن موسى عرف ملك الموت منذ أول مجيءٍ له ، وهي قول ملك الموت لموسى (عليهما السلام) : «أجب ربك». وأجاب عنها ابن حبان .

٧-وفات الكلاباذي ذكر شبهة : أن الله لم يقاصص ملك الموت من اللطمة . وقد ذكرها وأجب عنها : ابن خزيمة ، وابن فورك ، وغيرهم .

٨-وفات الكلاباذي أن يذكر سببا لرد موسى ملك الموت ، وهو أنه كان يعلم أنه لن تُقبض روحه حتى يُـخيَّر ، فلما جاءه في المرة الأولى دون تخيير شك في صدقه ، أو عرف أنه لم يؤمر بقبض روحه ، وإنما أُمر بامتحان موقفه في مثل هذا الموطن . وذكر هذا المعنى : ابن خزيمة ، وابن حبان ، والقرطبي وظن أنه سبق إليها .

٩-وفات الكلاباذي أن يذكر أن الحكمة من إرسال ملك الموت هو امتحانه هو وموسى (عليهما السلام) ، فهو امتحان لصبر ملك الموت ، ولاستعداد موسى للقاء الله بعد التخيير . ذكر هذا الجواب ابن فورك ، وارتضاه أبو يعلى ، والمازري .

ورد هذا الجواب القرطبي فقال : «ومنهم من قال: كان ذلك ابتلاء وامتحانا لملك الموت، فإن الله تعالى يمتحن خلقه بما شاء. وهذا ليس بجواب، فإنه إنما وقع الإشكال في صدور سبب هذا الامتحان من موسى، وكيف يجوز وقوع مثل هذا؟».

والحقيقة أن هذا جزء من الجواب ، ولم يكتف به أصحابُه حتى يصح نقد القرطبي .

١٠-وفات الكلاباذي ذكر المعنى المجازي للفقء ، الذي ذكره ابن فورك .

ورد عليه أبو يعلى الفراء بقوله : «أما الأول: فلأن في الخبر: " أنه عرج إلى ربه فرد عليه عينه " ، ولا يكون هذا إلا في عين هي حقيقة، لأن التخيل لا يحتاج إلى رده .

وأما الثاني: فإن معنى اللطمة إلزام الحجة فلا يصح لوجهين:

- أحدهما: أنه لو كان المراد به الحجة لم يخص العين، لأن الحجة لا تختص العين ، وإنما تلزم الجملة .

- والثاني: أنه لو كان قد ألزمه الحجة، لم يعد إلى قبض روحه، لأن الحجة قد لزمته في ترك قبض روحه، فلما عاد لقبض روحه، امتنع أن تكون اللطمة بمعنى إلزام الحجة»

أما الجواب الأول لأبي يعلى فقوي ، وإن احتمل التأويل البعيد ، أنه أُعطي الحجة على قبض الروح ، وهي تخيير موسى عليه السلام .

وأما الثاني فضعيف ؛ لأن تخصيص العين هنا لأن العين هنا ليست الجارحة وإنما هي ذات الشيء ، كما تقول : هذا هو عين الأمر . وأما عوده بعد إلزام الحجة ، فقد تكون هي حجة التخيير ، فلما خيره في المرة الثانية صحّت حجة ملك الموت.

وقد وافق المازريُّ أبا يعلى في الاعتراض على هذا الجواب ، بالاعتراض نفسه ، حيث قال: «وهذا أيضا قد يبعد عن ظاهر هذا اللّفظ لقوله ﷺ : "فَرَدَّ الله إليه عينَه". وإن قالوا: معناه ردّ الله إليه حجّته ، كان بعيدا عن مقتضى سياق اللّفظ».

١١-وفات الكلاباذي جواب لابن الوزير : « الوجه الثاني: أن نقول: سلمنا أن الملك جاء إلى موسى (عليهما السلام) على صورة يعرفه عليها ، ولكن ما المانع أن يكون موسى فعل ذلك وقد تغير عقله ، فإن تلك الحال مظنة لتغير العقول ، فقد خر موسى صعقا لأجل اندكاك الطور ، فكيف بهول المطلع ، فإنه عند العلماء بجلال الله (سبحانه وتعالى) أعظم وأجل من اندكاك الجبل ، وهذا الاحتمال ايضا يمكن فيه حالان:

أحدهما: أن يكون الملك أتاه وقد تغير عقله من غمرات الألم ، وسكرات النزع.

وثانيهما: أن يكون جاءه وهو صحيح غير أليم ، وإنما تغير عقله حين أخبره بأزوف الرحلة من دار العمل ، وانقطاع المهلة والأمل ، وذلك لأن أمل الأنبياء (عليهم

السلام) عظيم في الترقي في مراتب الخدمة لله تعالى ، وبلوغ أقصى المراتب في ذلك ، والآخرة دار انقطاع من ذلك ، فارتاع موسى (عليه السلام) لذلك .

خامسا : وافقَ الكلاباذي عددٌ من أهل العلم في عدد من أفكاره ، من مثل :

١- وافق الكلاباذي في أن المفقوء عينٌ متخيَّلة للملَك ، وليست عين الملك الحقيقية : ابن قتيبة ، وابن فورك ، وابن الجوزي، والمظهري، وغيرهم .

واعترض عليه القرطبي ، فقال : «فإنه يؤدي إلى: أن ما يراه الأنبياء من صور الملائكة لا حقيقة له، وهو قول باطل بالنصوص المنقولة، والأدلة المعقولة».

والجواب عليه : متضمّنٌ في كلام الكلاباذي ، ولا يصح إطلاق القرطبي ؛ لأنه فهم من التخييل غير مراد من قالوا به .

٢- وافق الكلاباذي في بيان أن غضب موسى كان لله تعالى : ابن الوزير .

٣- وافق الكلاباذي في وجوب دفع الاعتراض عن الخبر النبوي بنحو ما يُدفع مثله عن الآية القرآنية : ابن الوزير .

خامسًا : الأئمة : النووي والعراقي وابن حجر : لم يضيفوا شيئا على بعض من سبقهم ، وفاتهم قدرٌ مهم من تقريراتهم .

***

كلام الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- (ت١٤١٦هـ) عن هذا الحديث

قال الشيخ محمد الغزالي في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) : «وقد وقع لي وأنا بالجزائر أن طالبا سألني: أصحيح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه، بعدما استوفى أجله؟ فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر: وماذا يفيدك هذا الحديث؟ إنه لا يتصل بعقيدة، ولا يرتبط به عمل! والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى، وخصومها طامعون في إخماد أنفاسها! اشتغل بما هو أهم وأجدى!

قال الطالب: أحببت أن أعرف هل الحديث صحيح أم لا؟ فقلت له متبرما: الحديث مروي عن أبي هريرة، وقد جادل البعض في صحته.

وعدت لنفسي أفكر: إن الحديث صحيح السند، لكن متنه يثير الريبة، إذ يفيد أن موسى يكره الموت، ولا يحب لقاء الله بعدما انتهى أجله، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة الى الصالحين من عباد الله ، كما جاء في الحديث الآخر «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه». فكيف بأنبياء الله؟ وكيف بواحد من أولى العزم؟ إن كراهيته لموت بعدما جاء ملكه أمر مستغرب! ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر من عمى أو عور؟ ذاك بعيد .

قلت: لعل متن الحديث معلول، وأيا ما كان الأمر فليس لدي ما يدفعني الى إطالة الفكر فيه .

فلما رجعت الى الحديث في أحد مصادره ساءني أن الشارح جعل رد الحديث إلحادا! وشرع يفند الشبهات الموجهة إليه ، فلم يزدها إلا قوة !

وهاك الحديث أولا: ... (ثم ذكر الشيخ الغزالي الحديث ، وذكر كلام المازري ، ثم قال) نقول نحن: هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا يساغ!!

ومن وصم مُنْكِرَ الحديث بالإلحاد[1] : فهو يستطيل في أعراض المسلمين.

والحق: أن في متنه علة قادحة ، تنزل به عن مرتبة الصحة. ورفضه أو قبوله خلاف فكري، وليس خلافا عقائديا[2] .والعلة في المتن يبصرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي.

سمعت كلاما حادا ممن يرون أن موسى فقأ عين ملك الموت حقا، وأن هذا غير مستغرب.

---

(١) مصطلح الإلحاد عند علمائنا لم يكن بدلالته اليوم ، فهو يعني الانحراف الشديد عن الدين أو عن تعاليمه وعلومه ، ولم يكن ينحصر معناه في الكفر وعدم الإيمان ، كما في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وقد قال ابن جرير في تفسيره : « وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود أ وابن عباس، من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله أ وذلك أن الله عم بقوله: {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم} [الحج: ٢٥] ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له». تفسير الطبري (١٦/ ٥١٠).

وقال الراغب الأصبهاني : « والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب. فالأول ينافي الإيمان ويبطله ، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله»، المفردات للراغب (٧٣٧).

(٢) هو خلافٌ منهجي ، وهذه هي خطورته . فالطعن على الحديث المروي بأسانيد صحيحة بغير منهج علمي ، وبهذا الاستخفاف بعلوم علماء الأمة من فقهاء ومحدثين وأصوليين ومتكلّمين = بابُ شر عظيم ، سيهدم الدين من أساسه ، وسيفتح باب التشكيك في القرآن ، بهذا المنهج العبثي الذي مارسه الشيخ (رحمه الله) في طعنه على هذا الحديث .

هل نسي الشيخ أن العلماء الذي وجهوا الحديث هم أئمة الفقه واللغة وأئمة العلوم العقلية ؟!

وقبل أن أذكر ما عندي ، أثبت هنا حديث أحمد عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه! قلنا: يا رسول الله كلنا نكره الموت! فقال رسول الله: ليس ذلك كراهية الموت! ولكن المؤمن إذا حضر ـ احتضر ـ جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر اليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقى الله تعالى، فأحب لقاء الله!!... قال: وإن الفاجر أو الكافر إذا حضر ـ احتضر ـ جاءه «النير» بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه».

والحديث المذكور يتجاوز أحوال الصحة المعتادة، وانغماس الناس في معايشهم يزرعون ويصنعون ويتجرون، فإن إقبالهم على الحياة لا نكر فيه، ونزول الموت هنا قد يوصف بأنه مصيبة! وما تقوم الدنيا وينشأ عمران ؛ إلا من هذا الشعور بالحياة وحبها.

على أن المؤمن قد ينبذ الحياة الدنيا في ساعة فداء ينصر بها دينه ويلقى بها ربه، فهو وإن انغمس في شئون الدنيا لا ينسى أبدا دينه، ولا ينكص عن لقاء ربه.

وحديث أحمد بن حنبل يتجاوز هذه الظروف كلها ليشرح اللحظات الأخيرة من عمر المتوفى وهو في فراش المرض، أو وهو على أبواب الآخرة، وقد شرع ملك الموت يسترد الروح ليعود بها الى بارئها.

في هذه الأُوَيقات الحرجة تجيء البشرى التي يطير بها المؤمن فرحا، أو الأنباء التي ينوء بها الفاجر كمدا .

فلننظر على ضوء هذه الحقائق الى حديث فقوء موسى لعين ملك الموت.. إن الملك قال لموسى: أجب ربك.. يعني أن عمرك انتهى، فاستعد لتسليم روحك والعودة الى ربك !

أفي هذه العودة ما يضايق موسى؟!

قال المدافعون عن الحديث: موسى كسائر البشر يكره الموت[1]! ونقول: كراهية الموت مفهومة في الأحوال العادية للناس العاديين، ولا معنى لها بعد انتهاء الأجل، ومجيء الملك ليسترد وديعته!

ما الذي يكرهه موسى من اللقاء الحتم؟ إن هذا الكره تحول الى جزع وغضب جعلا موسى يفقأ عين الملك ، كما يقال!

يقول المدافعون عن الحديث: إن موسى فقأ الصورة التي تمثل بها الملك، لأنه جاء في صورة بشر.. ويرد ذلك ما جاء في الحديث أن الله رد إليه عينه[2]، أفكان موسى عاجزا عن إصلاح العور في الهيئة التي تشكل فيها[3]؟

وقد طلب موسى أن يدفن على مرمى حجر من حدود فلسطين التي جبن قومه عن دخولها ، فهل هذا الطلب تفسير لحرص اليهود الآن على نقل موتاهم الى الأرض المقدسة[4]؟

---

(١) هذا أحد أجوبتهم ، وليس كل أجوبتهم . لكن قصر باع الشيخ (رحمه الله) في الاطلاع ، وتسرعه في محاولة التخفف من أعباء المعرفة وضريبة إتقانها : جعله يكتفي بأطرف جواب ، ليعترض عليه !

(٢) ما الذي يردّ عليه ؟! ما المانع أن يرد الله عليه عينه التي في صورته البشرية ؟! وهل يقدر ملك الموت أو يُتصوَّر أن يفعل فعلا في نفسه أو في غيره إلا بمشيئة الله تعالى ؟!

(٣) ما هذا السؤال التافه ؟! نعم يعجز كل أحد عن إصلاح عين فُقئت ! فكيف إذا كنا نتحدث عن إصلاح باستقلال ، لا يقدر عليه إلا الله تعالى ؟!

(٤) كأن الشيخ (سامحه الله) يريد لأن يُحمِّل الحديث مشكلات الأُمة ! حتى هجرة اليهود ودفنهم موتاهم في فلسطين نشأ بسبب هذا الحديث الدسيسة من الصهيونية العالمية ومن تخطيط حكماء صهيون !!! ما هذا التخريف ؟!

وبهذا الخطاب المنفعل وغير العقلاني يريد الشيخ (رحمه الله) أن يناقش الدفاع العقلاني الذي ذكره الأئمة من الفقهاء والمحدثين والأصوليين وعلماء المعقول من المتكلمين !!

وسمعت من قال: إن الحديث من الابتلاء بالغيب؟ والإيمان بالغيوب حق إذا كانت مستيقنة المصدر[١]، أما السياق الغامض والأسلوب المضطرب فهما موضع بحث الفقهاء[٢] ليتعرفوا الحقيقة من خبر آحاد، يتعرض للدرس والفحص سندا ومتنا .

وأخيرا فهذا الحديث وأمثاله مما لا صلة له بعقيدة أو سلوك قارٌّ في مكانه ، تعدوه العين الى المهم من تعاليم الإسلام العملية . فمن نبش التراب عنه، وشغل الناس به، ونسب الى الإلحاد من يتوقف فيه[٣]؟

إن أعداء الصحوة الإسلامية من وراء هذا الحراك الطائش .

---

(١) ومن جعل هذا الحديث من الأصول حتى يستوجب القطع لقبوله ؟! يكفي فيه غلبة الظن بثبوته لاعتقاد صحته اعتقادًا راجحًا ، ما دام لا يناقض اليقينيات ، أو وُجِّهَ بما يدل على عدم مناقضتها .

(٢) المازري والنووي ، وقبلهما الخطابي وابن فورك وأبو يعلى الحنبلي ، وغيرهم ممن سبق ذكرهم : كلهم من سادة الفقهاء ، كما هو معلوم من سيرتهم ومن نتاجهم العلمي الكبير الباقي إلى اليوم شاهدا على رسوخ فقههم وإمامتهم فيه . ولا أظن الشيخ محمدًا الغزالي إلا سيذوب خجلًا لو وقف أمامهم وهو يصمهم بقلة الفقه وبالسطحية ! بل سيذوب خجلا لو أنه أُوقِفَ أمام أحد منجزاتهم الفقهية التي كان الشيخُ (عفا الله عنه) .. وسيكون عالةً عليها في دراسة الفقه طوال حياته ، ولا وصل الشيخ إلى ما وصل إليه من فهمٍ للدين أجاد فيه وأبدع ؛ إلا من خلال دراسته شيئًا من فقه أولئك وأمثالهم .
فليت الشيخ فقه عنهم فقههم ، وما أوهم أو توهَّمَ أن خصومته مع المحدّثين .. السطحيين !!

(٣) فليتك اكتفيتَ بذلك ! وَعَدَتْهُ عينُك ، وتركته قارًّا في مكانه من كتب الصِّحاح !! لكنك أشغلتَ نفسك ، وشاركتَ في حراكٍ طائشٍ كانت مكانتك العلمية في غِنًى عنه !! فلا أنت بالذي عَدَتْهُ عيناك، ولا بالذي – حين لفت انتباهَك – أبصرتَ فيه ما أبصره الفقهاءُ وعَقَلَـهُ أئمةُ المعقول !!

وقد رفض الأئمة أحاديث صح سندها واعتل متنها ، فلم تستكمل بهذا الخلل شروط الصحة»[1].

وستجد في حواشي هذا النقل الردّ عليه ، وما أيسر الردّ عليه ! بعد الجهود الكبيرة التي أبرزها أئمة الإسلام وعلماؤه في الردّ على الإشكالات التي بدت لبعضهم حول هذا الحديث !

ولو أن الشيخ محمدًا الغزالي (رحمه الله) وَكَلَ مَهمَّةَ التوجيه والنقد إلى الفقهاء الذين عدَّ نفسه المتحدث بلسانهم ضدّ أهل الحديث ، أو إلى أئمة المعقول الذين ظنَّ نفسه ناطقا رسميًّا عن عقولهم = لوجد أنهم قد حلوا إشكال هذا الحديث ، وما ضاقوا به ذرعًا كما ضاق هو به ، واتسعت له صُدورُهم بعد أن اتسعت له علومُهم ! فليته ترك القوس لباريها ، وولَّى قارَّها من تولَّى حارَّها ، وقال للناس : للعلماء أجوبة ، اقرؤوها ، فإن أقنعتكم ، فالحمد لله ، وإن لم تقنعكم ، فابحثوا عند غيري عن جوابٍ عليها يُقنعكم !!

لكنه قرّر هنا أن يخاصم العلم ، وأن يُبارز الفقهاءَ قبل المحدّثين العداوةَ المنهجية ، وأن يحصر الفهم في رَفْضِه هو الفهمَ ، وأن يَقْصُرَ الفقه في تيسيره السطحية ، وأن يُنفِّر من صعوبة العمق وعُسْرِ الدقّة وإجهاد التأمّل والزهادة فيما سوى الصبر على التعلُّم ! لقد أراد الشيخُ جوابًا سهلا ، يريح به من أشكل عليه هذا الحديث ، وليس هناك أسهل من أن يقول له : هو حديث باطل !!

ونسي الشيخ أن هذا المنهج سينقلب عليه ، وعلى ثوابته هو نفسه ؛ لأن من أوهم الفقه في تيسير السطحية ، والنقدَ في عبث العجلة الفكرية = فبماذا سيردّ على من شكك في بقية ثوابت الدين ، عندما يحتاج الجوابُ عن التشكيكات إلى شيء من عمقٍ وفقهٍ وصبرٍ على الفهم؟!!

---

(١) السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث للغزالي (٣٤- ٣٨).